

تأليف : فريدريك ديليتش

ترجَمة : ايرينا داود

الطبعة الأولى ١٩٨٧

العربي للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق: ص. ب ١٢٧٧٩

الغلاف: الفنان يحيى الشيخ


بابل
والكتاب
المقدس

٣٠٠٠ / ٣ / ١٩٨٧
طبع في مطابع دار العلم
التنضيد الضوئي : مكتب الفيحاء ـ دمشق

فـريـدريـك ديلـيتـش



ترجَمة : ايـريـنـا داود

كلمة المحرر

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه أحد بدايات نقد التوراة القائم على المعلومات الجديدة التي أمدتنا بها الكشوف الأثرية في منطقة الشرق القديم. ورغم أن الكتاب قد نشر في ألمانيا لأول مرة مع مطلع هذا القرن، إلا أن جِدته مازالت باقية الى يومنا هذا لأنه غدا من الأبحاث الكلاسيكية المؤسِسة التي أثرت على الاتجاهات العامة في الدراسات التوراتية. وقد حرصنا في نهاية الكتاب على نشر الردود والتعليقات الغزيرة التي أثارتها آراء المؤلف وردوده عليها، لأنها تعطي صورة عن الصدمة التي تلقتها الأوساط التوراتية في الغرب، والتي كانت تبشر بأن التوراة هو الحقيقة الالهية المطلقة في عالم البشر.

أما عن مؤلف الكتاب «فريدريخ ديليتش» فهو عالم آثار مرموق كان له الفضل الكبير في الكشف الأثري عن كثير من مواقع حضارة بلاد الرافدين القديمة، وكان له تأثير واسع على أجيال من الباحثين الآثاريين واللغويين في أوربا.

وقد وفقت المترجمة السيدة ايرينا داود إلى حد كبير في نقل أفكار المؤلف إلى العربية، وخصوصاً في ذلك الجزء المتعلق بالمقارنات اللغوية المعقدة بين المسمارية والعبرية. السيدة ايرينا داود المانية اللغة والثقافة والجنسية، ولكنها درست الأدب العربي في سورية، بلد اقامتها الحالي، وحصلت على ليسانس اللغة العربية وأدبها من جامعة دمشق. وهي هاوية جادة لتاريخ المنطقة وآدابها القديمة. تقيم مع زوجها السيد ماجد داود وأولادها في حمص.

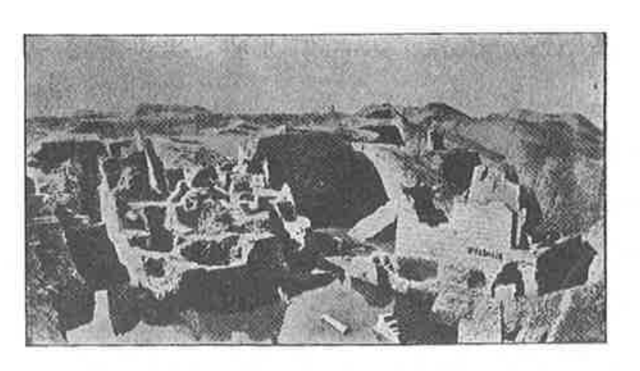
ما الداعي لبذل كل هذا الجهد في تلك البلاد البعيدة والوعرة والخطرة؟ لماذا هذا التنقيب المكلف في التلال المتراكمة منذ آلاف السنين الى عمق المياه الجوفية حيث لا ذهب ولا فضة؟ لماذا التنافس بين أمم في حجز حق التنقيب في هذه البلاد المقفرة؟ ثم ماذا يدفع بالناس على كلا شاطئي المحيط إلى هذا الاهتمام المتزايد والاستعداد للتضحية في سبيل الحفريات في مناطق مملكة بابل والآشوريين؟

إن جواباً واحداً يشير ولو بشكل غير كافٍ إلى السبب والغرض: إنه الكتاب المقدس. إن سحراً غامضاً يلف أسماء مثل «نينوى» و«بابل» والحكايات حول «بلشسر» و«المجوس من الشرق» منذ أيام طفولتنا، ولم تكن لتثير اهتمامنا سلالات الحكام الطويلة التي نسعى إلى إحيائها ـ على الرغم من أهميتها التاريخية والحضارية ـ لولا وجود أمرافل (حمورابي) وسنحاريب ونبوخذناصر بينهم ومعرفتنا بهم منذ أيام



الشكل رقم ١ :
من الحفريات الألمانية في بابل

المدرسة. أما في سن النضج فتضاف إلى ذكريات الشباب تلك الرغبة الملحة عند كل مفكري عصرنا في نظرة إلى الحياة ترضي العقل والقلب على حدٍ سواء. وتقودنا هذه الرغبة دائماً إلى الكتاب المقدس وقبل كل شيء إلى العهد القديم الذي يظل العهد الجديد مرتبطاً به تاريخياً. وعجيب كيف أصبح في أيامنا هذه العهد القديم - هذه المكتبة الصغيرة والمحتوية على الكتب الأكثر تنوعاً - موضوعاً للدراسة العميقة التي يقوم بها عدد لا حصر له من العلماء المسيحيين في ألمانيا وإنكلترة وأمريكا، هذه البلدان الثلاثة المتعلقة بالكتاب المقدس تعلقاً خاصاً. والحق أنه حتى الآن لم يعر العالَم إلّا اهتماماً قليلاً لهذا العمل الذهني والخفي؛ ولكن من المؤكد أنه عندما تخرج جملة



الشكل رقم ٢ : من الحفريات الألمانية في بابل

المعلومات الجديدة من مكاتب العلماء إلى الحياة ـ إلى الكنائس والمدارس ـ سوف تحرك حياة الإنسان والشعوب وتؤدي إلى مزيد من التقدم في اكتشافات العلوم الطبيعية مجتمعة. ويزداد اليقين بأن نتائج الحفريات الجارية في منطقة بابل وآشور هي قبل كل شيء التي ستفتح مرحلة جديدة في فهم العهد القديم وتقييمه وأن الكتاب المقدس وبابل سيظلان مرتبطان إلى الأبد.

إن الدنيا دول والأيام قُلَّب. ها هو ذا داود وسليمان اللذان عاشا قبل ١٠٠٠ عام ق.م. وهذا موسى الذي عاش حوالي عام ١٤٠٠ ق.م. وقبله بـ ٨٠٠ عام إبراهيم، قد وصلت إلينا أخبار هؤلاء الرجال بتفصيلاتها ـ أمر فريد من نوعه وفوق الطبيعي إلى حدّ أن الناس كانوا يصدقون الحكايات حول بدايات العالم والإنسانية بإيمان لم يعتره الشك، وحتى أكبر العلماء كانوا ولا يزالون تحت تأثير سفر التكوين والأسرار التي تلف حوله. أما الآن بعد انفتاح أبواب الأهرام والبلاطات

الآشـورية يظهـر الشعب الإسـرائيلي مع مدوّنـاته الأصغر عمراً بين جيرانه. ـ كان العهد القديم إلى عهد قريب من القرن الحاضر يشكل عالماً خاصاً: إنه يروي **عن أزمنة** تتصل العصور القديمة الكلاسيكية بأواخـر حدودها فقط، وعن شعوب لا يذكرها اليونانيون والرومان أو يذكرونها بشكل عابر. كان الكتاب المقدس المصدر الوحيد لمعرفتنا للشرق الأوسط منذ عام ٥٥٠ ق.م. وما قبله، **ولما كانت** دائرته تمتد على مساحة كبيرة (أي بين البحر الأبيض المتوسط والبحر العربي وبين جبال أراراط وإثيوبيا) كانت تكثر فيه الألغاز التي كان من الممكن أن يستحيل حلهـا. أمـا الآن فتسقط فجـأة الجدران التي كانت تحيط بمسرح أحداث العهد القديم لاسيما نحو الوراء، وريح آتية من الشرق تنعش الكتاب القديم والمحترم مع نور ساطع ينيره، وذلك لأن العصور العبرية القديمة ترتبط من أولها إلى آخرها ببابل وآشور.

كشفت الحفريات الأمريكية في «نبور» عن وثائق تجارية لتاجر الجملة «موراشو وأبناءه» تعود إلى عصر «أرتاكسيركسيس» (Art-axerxes) (حوالي ٤٥٠ ق.م). وفيها تقرأ أسماء الكثيرين من اليهود المنفيين الـذين كانـوا يقيمـون في بابـل، مثل «نثنائيل» و«حجي» و«بنيامين»، كما أننا نقرأ عن **«قناة خابور»** عند مدينة «نبور» وهي قناة خابور المشهورة في بلاد الكلدانيين وقد جاء ذكرها في رؤى حزقيال (١ : ٣). ومن المرجح أن هذه «القناة الكبيرة» ـ هذا ما يعني اسمها ـ لاتـزال موجودة إلى يومنا هذا[1]. ـ وبفضل الخاتم الذي يوجد على

---

(١) المقصود هو نهر خابور (المترجمة).

معظم قطع آجر البناء البابلية مع ذكر اسم المدينة التي تم فيها البناء، فقد نجح «هنري رالنسون» (Henry Rawlinson) عام ١٨٤٩ في اكتشاف مدينة «أور» الكلدانية التي بحث عنها الكثيرون، وهي موطن إبراهيم أو أجداد بني إسرائيل كما أشير إلى ذلك في أكثر من موضع (سفر التكوين: ١١ : ٣١، ١٥ : ٧). وقد تم اكتشافها في تل المقجّار (el - Muqajjar) على الضفة اليمنى لمجرى الفرات الأسفل (الشكل رقم ٣). والحق أن المعلومات الجغرافية التي تحتوي عليها النصوص



الشكل رقم ٣: تل المقجّار الذي عثر فيه على آثار مدينة «أور» الكلدانية

المكتوبة بالخط المسماري واضحة إلى درجة أن العالم المختص في التاريخ الآشوري «جورج سميث» (George Smith) استطاع أن يعرّف بكل تأكيد المدينة الملكية الحثية «كركميش» مع الأسوار والتل الذي وجد فيه البلاط، وهو الموقع الذي حقق فيه «نبوخذناصّر» عام ٦٠٥ ق.م. نصراً كبيراً على الفرعون «نخو» (إرمياء ٤٦ : ٢). وبينما كانوا يبحثون عن هذه المدينة هنا وهناك على ضفة الفرات، اتجه

جورج سميث على ظهر الخيل في شهر اذار ١٨٧٦ من حلب نحو منطقة بئر الشيخ (Biredsohik) ومن هناك منحدراً مع الفرات إلى الموقع الذي حددته الكتابات المسمارية للمدينة الملكية الحثية. أما اليوم فتحولت هذه المدينة إلى أنقاض «جرابيس» (Dscherabis) وهي تغطي مساحة تزيد عن مساحة «نينوى» سعة. وبعد الاكتشاف مباشرة أكدت النقوش المنتشرة بين الأنقاض بكتاباتها الرمزية الخاصة بالحثيين هوية المدينة (الشكل رقم ٤).



الشكل رقم ٤ :
كتابة رمزية حثية من مدينة كركميش

وكما أُحيي عدد كبير من الأمكنة كذلك أُحيي عدد كبير من الشخصيات المذكورة في الكتاب المقدس. يذكر سفر إشعيا (٢٠ : ١) ملكاً آشورياً اسمه «صارغون» الذي وجّه قائد جيشه إلى «أشدود»

لمحاربته. وعندما بدأ القنصل الفرنسي «إميل بوتّا» في عام ١٨٤٣ بالحفر في تل خورِ سباد (Chorsabad) بالقرب من الموصل - بناء على نصيحة عالم ألماني - افتتاحاً للاكتشافات الآثرية على أرض ما بين النهرين، عثر أول ما عثر على بلاط صارغون هذا، فاتح السامرة، وقد رأينا على أحد النقوش الرائعة على رخام أبيض التي زينت بها جدران حجرات البلاط صورة هذا البطل العسكري بالذات وهو يتحدث إلى قائد جيشه (الشكل رقم ٥).



الشكل رقم ٥:
الملك صارغون الثاني
وقائد جيشه

ويروي سفر الملوك الثاني (١٨: ١٤) أن الملك «حزقيّا» من أورشليم أرسل إلى الملك «سنحاريب» المقيم في «لخيش» الجزية - يُري نقش من بلاط «سنحاريب» في نينوى هذا الملك الكبير

الآشوري على العرش أمام خيمته المنصوبة في وجه مدينة انتصر عليها، وتقول الكتابة المنقوشة عليه: «جلس سنحاريب ملك الكون وملك آشور على عرشه وتفحص الغنيمة التي أتته من لخيش». وهناك عدو سنحاريب وهو «برودخ بلدان» البابلي الذي أرسل حسب النص الوارد في العهد القديم (سفر الملوك الثاني ٢٠ : ١٢) رسلاً إلى حزقيّا ليوطد علاقات الصداقة بينهما، ويرينا نقش على ديوريت رئيس مدينة **بابل** أمام الملك وهو يعلمه بما يقدمه له سيده الملك من الأراضي الواسعة هدية. وكذلك عثر على صورة «أمرافل» (سفر التكوين ١ :

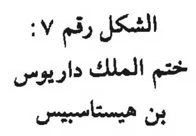


الشكل رقم ٦:
الملك حمورابي (أمرافل)

١٤) الذي هو الملك الكبير «حمورابي» وكان من معاصري إبراهيم. وهكذا يعود إلى الحياة كل هؤلاء الرجال الذين صنعوا التاريخ عبر ثلاثة

آلاف من السنين، وقد وصلت إلينا اسطوانات أختامهم أيضاً: ها هنا ختم الملك «داريوس بن هيستاسبيس» (الشكل رقم ٧): يصطاد الملك الأسود وفوقه رمز أهورامزدا لحمايته. وإلى جانب الصورة كتب النص التالي: «أنا داريوس الملك الكبير»، وهو كنز حقيقي يحتفظ به المتحف البريطاني. وهنا أيضاً ختم الدولة لملك من الملوك البابليين





الشكل رقم ٧:
ختم الملك داريوس
بن هيستاسبيس

الأكاديين الأولين المعروفين وهو «شروكين أو صارغون الأول» من الألف الثالث (الشكل رقم ٨). وتدور حول هذا الملك الأسطورة القائلة بأنه كان لا يعرف والده الذي توفي قبل ميلاده، ولما لم يهتم عمّه بأمه الأرملة، ولدته تحت ظروف صعبة جداً: «قد ولدتني سراً في «أزوبيران» (Azupiran) عند نهر الفرات، ثم وضعتني في صندوق

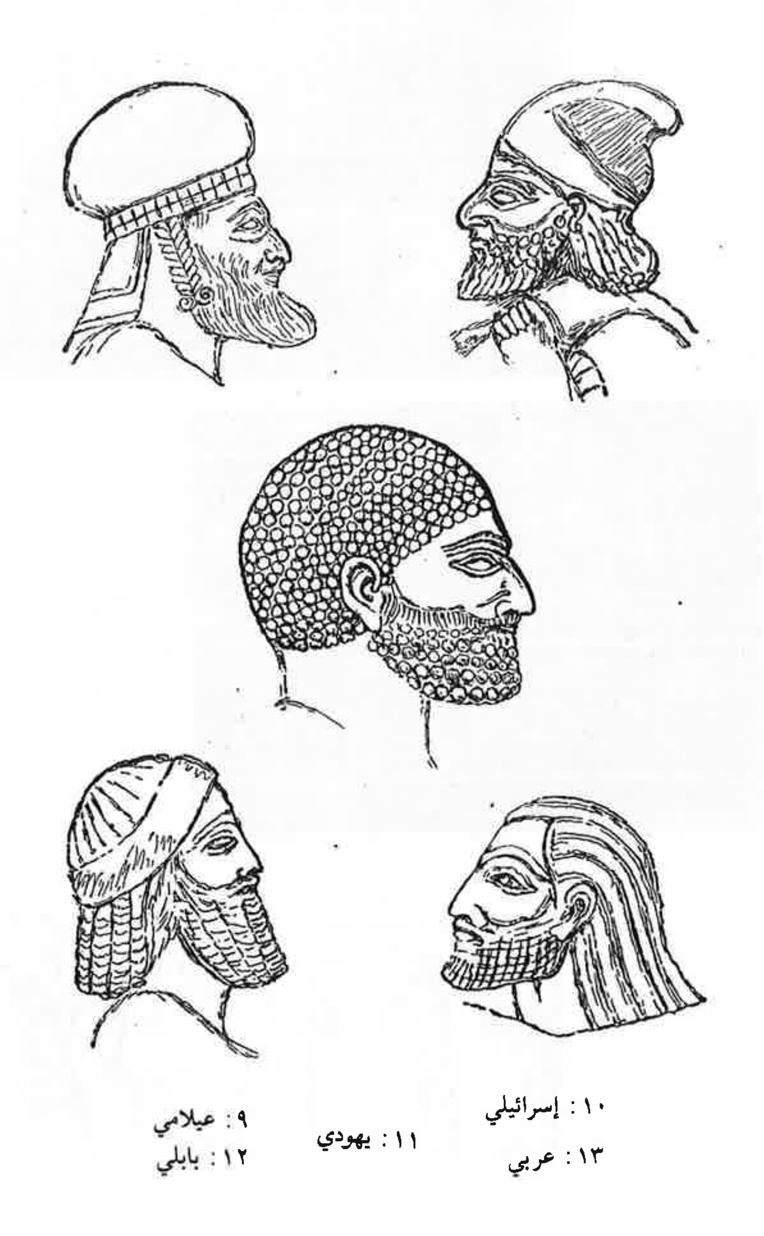


الشكل رقم ٨:
ختم الملك صارغون
الأول

مصنوع من القصب وبعد أن أغلقته بالقار سلمتني للنهر الذي حملني بتياره إلى أكّي الساقي. وأخذني أكّي الطيب القلب معه وربّاني ابناً له، ثم أصبحت بستانياً عنده، هناك وقعت عشتار ابنة رب السموات في حبي وجعلتني ملكاً على البشر».

وأكثر من ذلك، إن شعوباً برمتها تعود إلى الحياة. وعندما نعدُّ استناداً إلى التماثيل الفنية الآشورية أنواع الشعوب المختلفة نجد هنا صورة رجل من رجال بني يهوذا من **لخيش** (الشكل رقم ١١) وهناك صورة رجل إسرائيلي (الشكل رقم ١٠) من عصر «ياهو» كذلك يمكننا أن ننظر إلى بقية أنواع الشعوب ـ مثل الشيخ لقبيلة عيلامية (الشكل رقم ٩) والفارس العربي (الشكل رقم ١٣) والتاجر البابلي (الشكل رقم ١٢) ـ وكلهم مصورون بالدقة نفسها. وأما الآشوريون بشكل خاص، الذين كان يبدو أنهم اختفوا من تاريخهم وحضارتهم في ضباب العصور، فقد أصبحنا نعرف أخبارهم بالتفصيل بفضل الحفريات في نينوي، كما وجَدنا صوراً بألوان رائعة للعديد من المواضع في كتب الأنبياء.

«فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً. ليس فيهم رازح ولا عاثر. لا ينعسون ولا ينامون ولا ينحل حزم أحقابهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم. الذين سهامهم مسنونة وجميع قسيّهم ممدودة. حوافر خيلهم تحسب كالصوان وبكراتهم كالزوبعة. لهم زمجرة كاللبوة ويزمجرون كالشبل ويهرون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ». (إشعياء ٥: ٢٦ ـ ٢٩) بهذه الكلمات البليغة يصف النبي إشعيا الجيش



١٠ : إسرائيلي

٩ : عيلامي

١١ : يهودي

١٣ : عربي

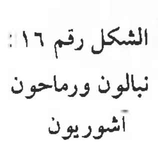
١٢ : بابلي



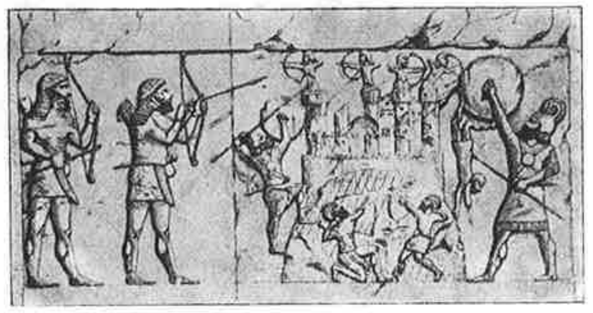
الشكل رقم ١٤ :
انطلاق كتائب آشورية
من معسكرهم



الشكل رقم ١٥ :
هجوم على حصن بآلات
لدك الأسوار

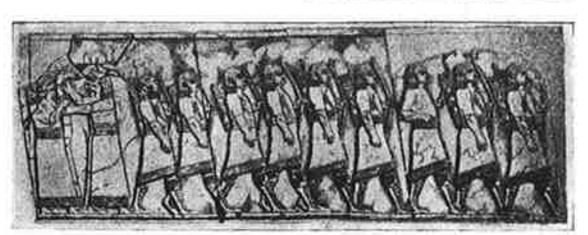


الشكل رقم ١٦ :
نبالون ورماحون
آشوريون



الآشـوري. والآن نرى هؤلاء الجنود منطلقين في الصباح الباكر من معسكرهم (الشكل رقم ١٤). وبأيديهم آلات لدك الأسوار ليهاجموا حصن العدو (الشكل رقم ١٥). بينما في النصف الأسفل من الصورة يساق أسرى أشقياء إلى أسرٍ لا عودة منه؛ وعلى الصورة (١٦) نرى النبّـالين ورماة الرماح يهاجمون حصن العدو واندفاع جنود آشوريين آخرين إلى تل يدافع عنه نبالون معادون. إنهم يصعدون التل بواسطة أغصان الأشجار أو يتسلقونه بمساعدة العصي، بينما يحمل آخرون في نشوة الظفر رؤوس الأعداء المقطوعة إلى الوادي. (الشكل رقم ١٦). ونأخذ فكرة عن الشؤون الحربية لهذه الدولة العسكرية الأولى في العالم إذا ما نظرنا إلى العدد الكبير من تلك النقوش التي تصور مشـاهد الحرب على البوابات البرونزية العائدة إلى عصر «شلمنأسر الثـاني» وعلى الرخام الأبيض من بلاطي «صارغون» و«سنحاريب» بتفصيلاتها كالأسلحة والعدة في تطورها التدريجي. وانظروا إلى هذه الصورة لأحد ضباط جيش صارغون بلحيته التي تدل على مهارة فنية لم يبلغها بعد ضباط أيامنا (الشكل رقم ١٧). وهناك غلمان حاشية الملك (الشكل رقم ١٨) وغلامان يدخلان بأبهة عربة الملك (الشكل رقم ١٩) وآخران يحملان عرشه (الشكل رقم ٢٠). ويزينا عدد كبير من النقوش الجميلة «سردانبال» (Sardanapal) في الصيد لاسيما صيد الأسـود الـذي كان مولعاً به (الشكل رقم ٢١). وكانت لديه حدائق حيوانـات خاصة، فيها عدد وافر من الأسود الضخمة لهذا الغرض. عنـدما أراد الملك «شاول» منع «داود» الشاب من الخروج لمحاربة

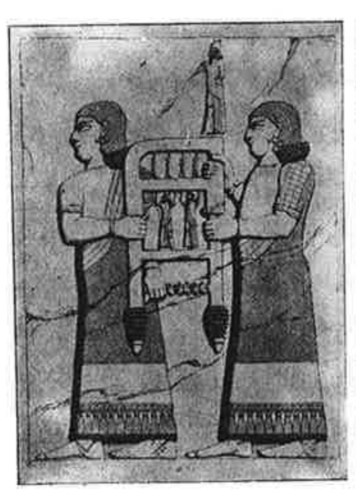
الشكل رقم ١٧ :
ضابط آشوري من جيش
صارغون



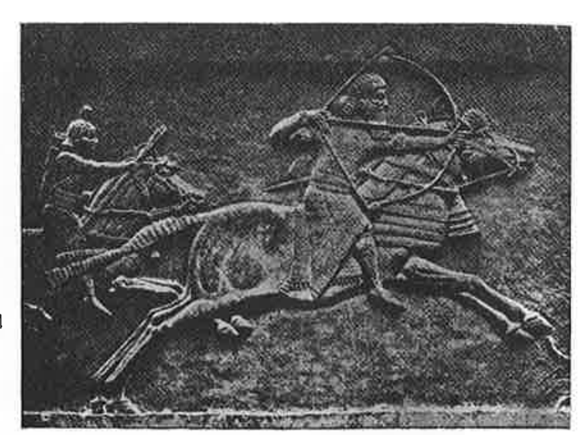
الشكل رقم ١٨ : دخول غلمان حاشية الملك



الشكل رقم ١٩ :
غلامان يحملان عربة الملك



الشكل رقم ٢٠ :
غلامان يحملان عرش الملك

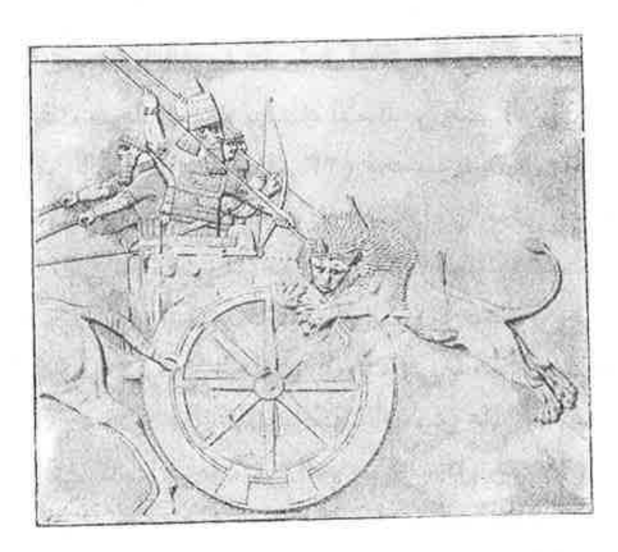


الشكل رقم ٢١ :
الملك سردانبال في الصيد

«جليات» ذكره بالأيام التي كان فيها يرعى غنم أبيه وكيف كان يطارد الوحوش ـ أسداً كان أو دباً ـ إذا اعتدت على القطيع وكيف تغلب على الوحش وانتزع منه الفريسة، وإذا ما اعتدى عليه بالذات كان يمسكه بلحيته ويقتله. هذه بالضبط كانت العادة في آشور. وهكذا لم ترنا النقوش الملك سردانبال وهو يصطاد الأسد من ظهر الخيل (الشكل رقم ٢٢) ومن العربة (الشكل رقم ٢٣) فحسب بل ترى ملك آشور أيضاً في القتال المتلاحم مع ملك الصحراء (الشكل رقم ٢٤). وبإمكاننا أن نلقي نظرة على ما أحضر إلى مائدة الملك (الشكلان رقم ٢٥ و٢٦) حيث نرى الخدم حاملين الأرانب والأحجال والجراد على أسياخ شواء وكمية كبيرة من الحلوى والفواكه وفي يدهم أغصان صغيرة لطرد الذباب. وعلاوة على ذلك بإمكاننا أن نرى على إحدى الصور المنقوشة التي كانت موجودة في الحريم (الشكل رقم ٢٧) الملك والملكة في عرش كرم وهما يشربان النبيذ: **يتمدد** الملك على أريكة



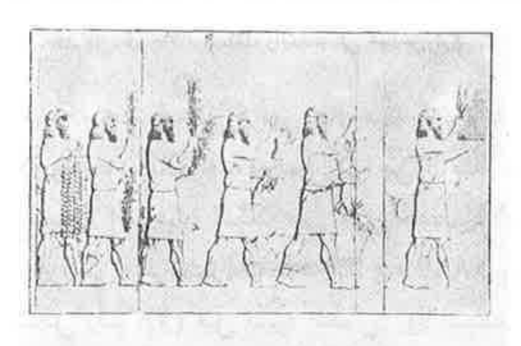
الشكل رقم ٢٢ : الملك سردانبال على ظهر الخيل يصطاد أسداً

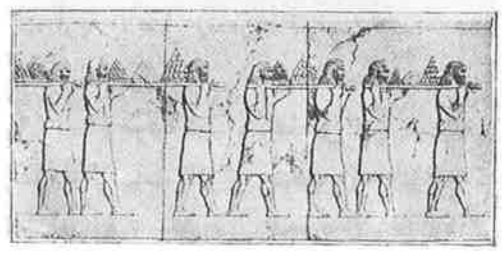


الشكل رقم ٢٣ : الملك سردانبال على العربة يصطاد أسداً

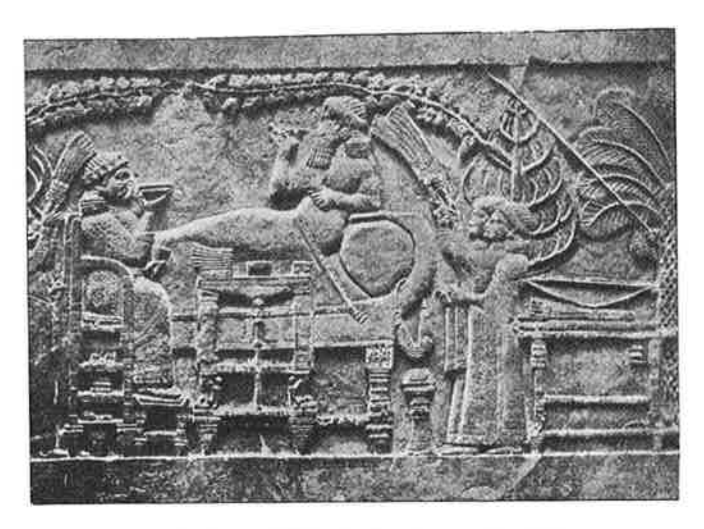


الشكل رقم ٢٤ : الملك سردانبال في صراع مع الأسد





الشكلان رقم ٢٥ و ٢٦ : الخدم حاملين الطعام إلى مائدة الملك

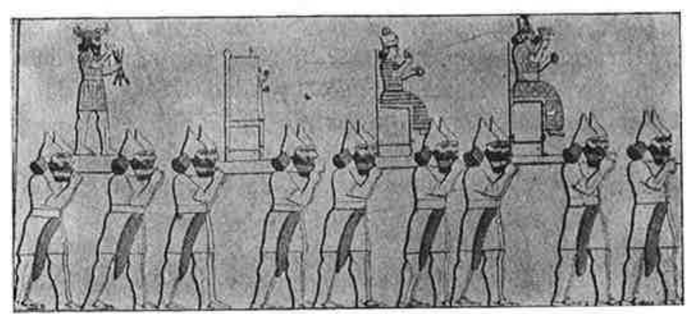


الشكل رقم ٢٧ : الملك والملكة في عريش كرم

عالية وتقابله الملكة جالسة على كرسي عال مرتدية ثياباً نفيسة؛ وإلى جانبها خصيان يروحون بالهواء، وربما يأتي من البعيد عزف ألحان عذبة. إن الصورة الوحيدة لملكة هي التي حفظها للأجيال الآتية الملازم الأول الروسي «بلّربك» (Billerbeck) عام ١٨٦٧ برسم منظرها الجانبي (الشكل رقم ٢٨) قبل تشوه النقش: ولا يستبعد أن زوجة سردانبال كانت آرية الأصل وشعرها أشقر اللون. وهناك الكثير من الصور من العصور الآشورية التي تجدر باهتمامنا. يذكر النبي إشعيا (٤٥ : ٢٠ و٤٦ : ١) موكباً دينياً، وها هي ذي صورته (الشكل رقم ٢٩): في المقدمة الإلهات اللواتي يتبعهن إله البرق والرعد المسلح بمطرقة وحزمة بروق؛ وقد عيّن الجنود الآشوريون لحمل تماثيل

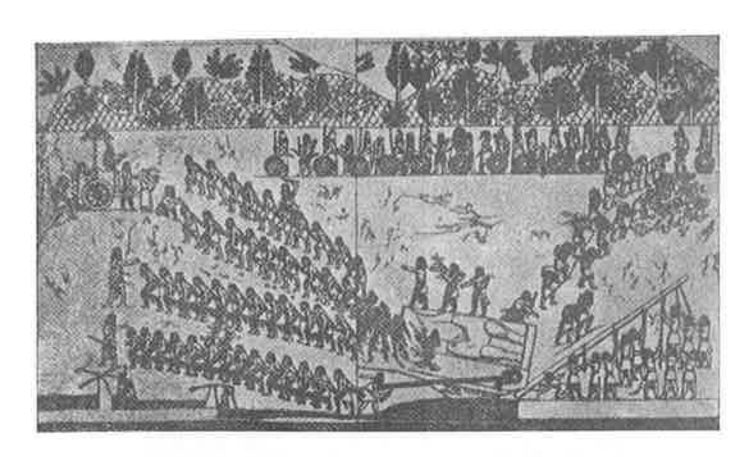


الشكل رقم ٢٨ :
زوجة الملك سردانبال

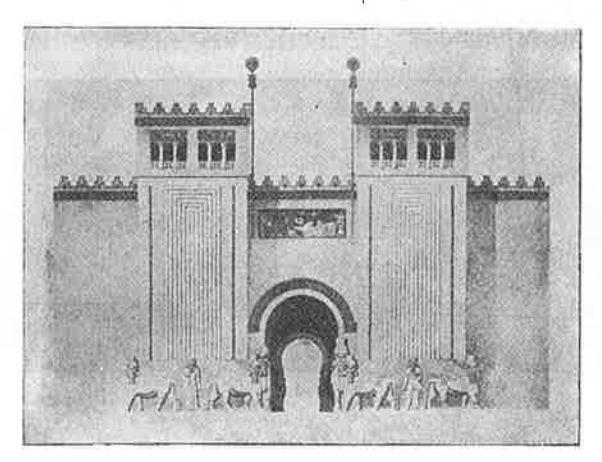


الشكل رقم ٢٩ : موكب ديني

الآلهة. وعلى الصورة ٣٠ نرى نقل ثور ضخم فنأخذ فكرة عن مستوى مهارة الآشوريين التكنيكية. أما قبل كل شيء فيعجبنا دائماً الأسلوب الأصيل والبسيط في فنهم المعماري ومثال عليه بوابة بلاط صارغون

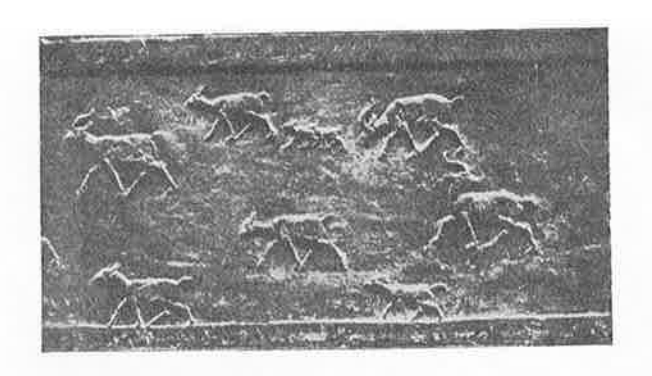


الشكل رقم ٣٠: نقل ثور ضخم

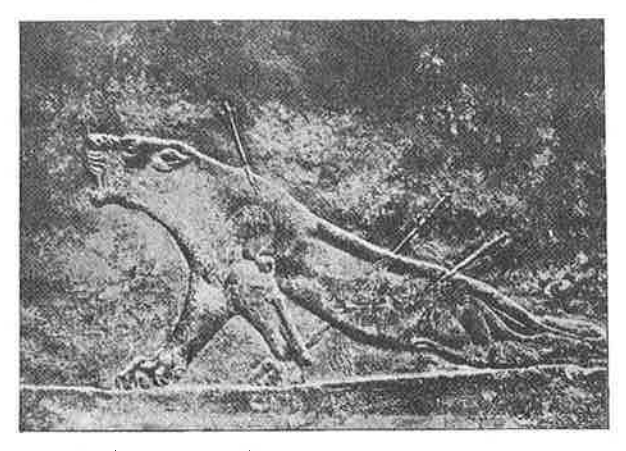


الشكل رقم ٣١: بوابة بلاط صارغون

(الشكـل رقم ٣١) التي اكتشفهـا «بـوتا» في حفرياته، ومثلها صور الحيوانات الرائعة الواقعية جداً التي خلقها هؤلاء الفنانون في العصور

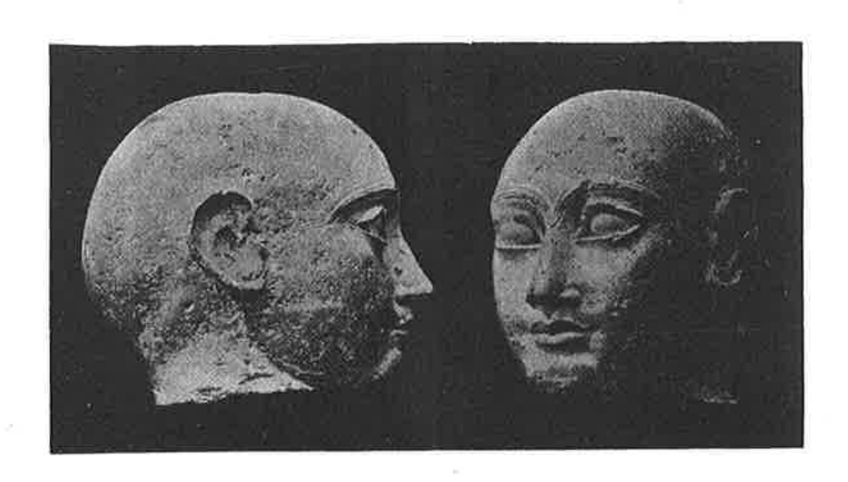


الشكل رقم ٣٢: غزلان على المرعى



الشكل رقم ٣٣: اللبوة المشرفة على الموت من حفريات نينوى

القـديمـة، وعلى سبيل المثال المشهد المريح للغزلان الهادئة التي ترعى العشب (الشكل رقم ٣٢)، أو صورة اللبوة وهي تموت التي عثر عليها في نينوى وقد أصبحت مشهورة في تاريخ الفن (الشكل رقم ٣٣)



الشكل رقم ٣٤: رأس أمير كاهن سومبري

والحق أن الحفريات في أراضي بابل تكشف لنا عن صورة مماثلة لفن بلاد آشور ومدنيتها وحضارتها من زمن يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد أي إلى عصور ما كان يحلم أوسع خيال بالعودة إليها. ومن مدن بابل نفذنا إلى عصر السومريين، هذا الشعب القديم قدم الدهر والذي ليس هندوجرماني ولا سامي الأصل. يعتبر السومريون مؤسسي الحضارة البابلية العظيمة. إنهم أخذوا العدد ستون كوحدة عليا بعد العشرة وليس المئة: ولا نغالي إذا رأينا في الأمير والكاهن الذي يحتفظ برأسه الرائع (الشكل رقم ٣٤) متحف برلين ممثلاً أصيلاً للإنسان الذي كان يعيش عند فجر التاريخ.

ولكن على الرغم من فائدة كل ما ذكرناه وجدارته فإن الأمر لا يتعدى بعض التفصيلات أو بالأحرى بعض المظاهر التي تفوقها

الحقائق التي سنوردها فيما يلي أهمية إلى حد بعيد.

لا أقصد هنا التوقف كثيراً عند حقائق جديرة بالذكر مثل التاريخ البابلي ـ الآشوري الذي يعتمد على أساس فلكي متين (أي مراقبة الكسوف الخ) ويسمح بترتيب الأحداث المروية في سفر الملوك في العهد القديم ترتيباً تاريخياً علمياً؛ وهو أمر يستوجب الشكر لاسيما بعد إثبات «روبرتسون سميث» (Robertson Smith) و«ولهوزن» (Well- hausen) أن تاريخ العهد القديم يتناسب مع نظام أعداد مقدّسة: ٨٤٠ عام منذ العودة من المنفى إلى الوراء حتي تاريخ بناء معبد سليمان ثم أيضاً ٨٤٠ عام (الملوك الأول ٦: ١) إلى الوراء حتى خروج بني إسرائيل من مصر. وكذلك الأمر فيما يتعلق بأهمية دراسة الخط المسماري البالغة ـ التي تزيدنا فهماً لنص العهد القديم أكثر فأكثر كما يوضح المثال المتواضع التالي: «يباركك الرّب ويحرسك» (عدد ٦: ٢٤). وكم من مرّة تكرر هذه البركة المؤلفة من ثلاثة ألفاظ! ولكننا لم نفهم مدلولها العميق إلّا بعد معرفتنا بواسطة اللغة البابلية أن التعبير «يرفع وجهه أو عينيه إلى فلان» كان يُستعمل للاله إذا أراد أن يعبر عن إعجابه بإنسان مختار (أو مكان) وعن حبه إياه. بهذا الدعاء الرائع يريد الإنسان الحصول على بركة الله وحمايته وعطفه ورحمته وأخيراً حبّه. وقد انتهى هذا التعبير إلى تحية الشرق الجميلة حقاً «السلام عليك» وهي التي تغنى بها «فريدرخ روكرت» (Friedrich Rueekert) بتأثير من آية قرآنية:

عندما تدخلون إلى بيت

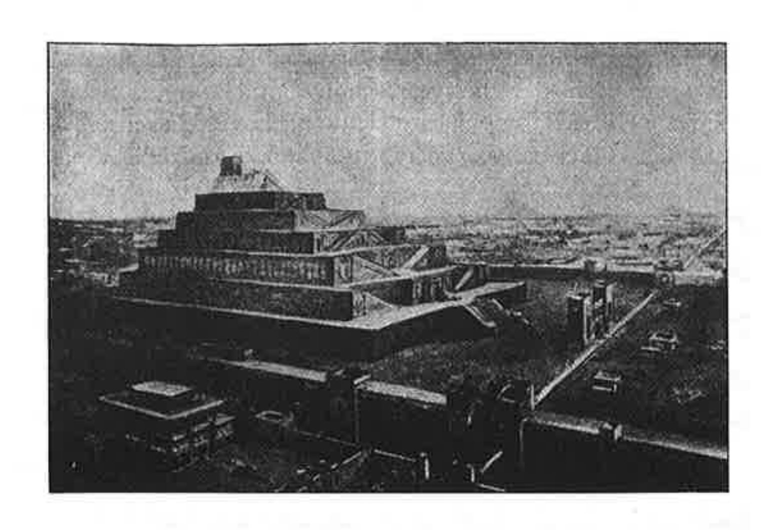
قولوا: السلام عليكم.
وعندما تخرجون منه
قولوا: السلام عليكم.
ومهما تمنى الإنسان،
ما قيل حتى اليوم
أجمل قول من
«للأرض سلام».

كل هذه المساعدة الكبيرة التي جاءتنا من بابل بشكل غير متوقع في فهم الكتاب المقدس لغوياً ليست بالأهمية التي تكمن في التأملات التالية:

من أهم نتائج الأبحاث في منطقة الفرات والدجلة، في ذلك السهل الذي مساحته **تعادل** مساحة إيطاليا تقريباً والذي يتصف بخصوبة طبيعية قبل أن يحوله الإنسان بجهده إلى بيت زجاجي مع نبت لا يتصوره الخيال، العثور على آثار دولة دستورية متطورة جداً ذات حضارة يمكن مقارنتها بحضارتنا. بعد انتصار «حمورابي» على **عدو بابل اللدود العيلاميين، وربط شمال البلاد بجنوبها في دولة واحدة** مع بابل كمركز سياسي وديني، بدأ يركز اهتمامه على وضع شريعة وتطبيقها على جميع أقطار البلد، وشرّع جملة كبيرة من القوانين التي أثبت فيها الحقوق المدنية بكل فروعها. فهناك تحديد العلاقة بين السيد والعبد أو الأجير، والتاجر وغلامه، وصاحب الأرض ومستأجرها. وعلى سبيل المثال هناك قانون ينص على إعطاء وصل

للموظف الذي يسلم لمعلمه المال الذي حصل عليه ببيع البضائع؛ وتخفيض أجرة الأرض في حالة حدوث مضار بسبب إعصار أو بسبب وحوش عاثت فيها فساداً؛ كما أن قانون الصيد محدد بدقة للقرى الواقعة على ضفة قناة، الخ . . . وكانت محكمة العدل العليا في بابل تصدر الحكم في القضايا الخلافية المعقدة، وكان كل رجل لائق للتجنيد مجبراً على الخدمة العسكرية مع أن حمورابي قد وضع قوانين عديدة وقاية من التشدد في تطبيق التجنيد، فكان يراعي امتيازات طبقة الكهنة العريقة أو يحرر الرعاة من الخدمة العسكرية لصالح تربية الماشية.

ونقرأ أيضاً نصاً بخصوص صك العملة البابلية. ويدل الخط بحروفه المائلة على انتشار الكتابة انتشاراً واسعاً. وعندما نجد بين الرسائل العديدة المحفوظة من ذلك العصر البعيد رسالة امرأة إلى زوجها المسافر وهي تخبره عن سلامة الصغار أو تطلب نصيحته في أمر تافه، أو نجد رسالة كتبها الابن إلى والده ليخبره بأن فلاناً قد أهانه إهانة لا تطاق وأنه يريد أن يضرب هذا الحقير ولكنه قبل أن يتصرف يفضل انتظار نصحية والده في هذا الأمر، أو عندما نقرأ في رسالة أخرى أن الابن يطلب من والده إرسال المال الموعود مع الملاحظة الفظة أنه بعد وصول المبلغ يمكنه أن يعود إلى الدعاء لأجله، نفهم من كل ذلك أن البريد كان منظماً بدقة كما أن كل الدلائل تشير إلى أن الشوارع والجسور والقنوات حتى ما وراء حدود بابل كانت في حالة جيدة. وقد ازدهرت التجارة والصناعة وتربية الماشية والزراعة وكذلك العلوم ـ مثل



الشكل رقم ٣٥: إعادة صورة مدينة بابل في عصر نبوخذناصر

الهندسة والرياضيات وعلم الفلك الذي لايزال علم الفلم الحديث ينظر إليه بإعجاب ـ قد وصلت إلى مرتبة عالية من التطور.

لا ليست باريس وإنما روما على الأكثر هي التي يمكن مقارنة تأثيرها مع تأثير بابل عبر ألفي عام. ويشهد الأنبياء في العهد القديم على روعة بابل المتفوقة في عصر «نبوخذناصر» وعلى قوتها التي ليس لها نظير (الشكل رقم ٣٥). يقول إرميا (٥٠ : ٦): «بابل كأس ذهب بيد الرب تسكر كل الأرض». وحتى في رؤيا يوحنا تستمر ذكرى بابل مليئة بالكراهية، تلك المدينة البهيجة مركز التجارة والفن، تلك المدينة الفخورة بغناها، أم العشاق ومفاسد العالم كله. ولكن بابل

كانت منذ أواخر الألف الثالث بؤرة الحضارة والعلوم والأدب وكانت دماغ الشرق الأدنى والقوة المسيطرة على الجميع.

في شتاء ١٨٨٧ حفر فلاحون مصريون بين «طيبة» و «ممفيس» في «تل العمارنة» بين انقاض عاصمة الفرعون «أمينوفيس الرابع» بحثاً عن الآثار. وقد وجدوا ٣٠٠ لوحاً طينياً من شتى الأشكال. وتبين فيما بعد أنها تمثل رسائل موجهة من ملوك بابليين وآشوريين من بلاد ما بين الرافدين إلى الفرعونين أمينوفيس الرابع والثالث، ولكن قبل كل شيء رسائل كتبها ولاة مصريون مقيمون في المدن الكنعانية الكبيرة مثل صور وصيدا وعكا وعسقلان إلى البلاط المصري. ومن حظ متاحفنا في برلين أنها تملك الرسائل الفريدة المكتوبة في أورشليم قبل هجرة الإسرائيليين إلى الأرض المقدسة. ومثل كشاف كبير بددت هذه الألواح الطينية المكتشفة في تل العمارنة الظلمة الشديدة التي هيمنت على البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط ولاسيما كنعان التي كانت الظروف السياسية والحضارية فيها بين ١٥٠٠ ـ ١٤٠٠ ق.م. يلفها الغموض. وتدل الحقيقة أن كل هؤلاء الكبار من كنعان وحتى قبرص كانوا يستعملون اللغة البابلية وخطها وكانوا مثل البابليين يكتبون على ألواح طينية، وأن اللغة البابلية كانت اللغة الرسمية والديبلوماسية من الفرات حتى النيل، مما يدل على تأثير الحضارة البابلية وآدابها في المنطقة كلها من عام ٢٢٠٠ حتى ١٤٠٠ ق.م.

عندما اقتحمت القبائل الإسرائيلية الاثنتا عشرة بلاد كنعان دخلت بلداً كان كلياً تحت نفوذ الحضارة البابلية. هناك حدث صغير

ولكنـه ذو دلالة أن «أخان» عند فتح مدينة «أريحا» ونهبها أغراه رداء بابلي (يشوع ٧: ٢١). وليس في الصناعة فحسب وإنما في التجارة والحقـوق والعلوم كان لبابل دور القيادة. ودفعة واحدة ندرك مصدر المسكوكات ونظام القياس والوزن الواردة في العهد القديم، ومن ذلك أيضـاً صيغـة القـوانين مثل «إن فعل فلان كذا وكذا يجب عليه كذا وكـذا. . .» إذ أن كل هذه الأنـظمة بابلية. أفليس غريباً أن التقليد الإسرائيلي لا يستطيع بالتأكيد تعيين مصدر السبت (قارن بين خروج ٢٠: ١١ وتثنية ٥: ١٥). أما البابليون فهم أيضاً كانوا يرتاحون في يوم السبت لمصـالحـة الآلهـة بعـدم القيام بأي عمـل، وقـد عثـر لدى الحفريات على تقويم خاص بالأعياد والأيام المختصة لتقديم القرابين وعليه إشارة إلى اليوم السابع والرابع عشر والواحد والعشرين والثامن والعشرين على أنها أيام لا يأكل فيها «راعي الشعوب العظمى» لحماً مشوياً ولا يبدل ثوبه ولا يقدم قرباناً ولا يركب الملك عربته ولا تنطق الكـاهنـة أو السـاحر بتنبؤ وحتى الطبيب لا يضع يده على مريض، باختصار إنها الأيام التى لا يقوم فيها أحد بأي عمل. لذلك لا يمكن الشـك في أننا ندين براحة يوم السبت أو يوم الأحد في النهاية لهذا الشعب المتحضـر بين الفـرات والدجلة. وهناك ما يزيد عن ذلك! تحتفظ متاحف برلين بكنز نفيس جداً، وهو لوح طيني عليه أسطورة بابلية تروي كيف فقـد الإنسـان الأول الحياة الخـالدة. **إن موضع** اكتشـاف هذا اللوح ـ وهو تل العمارنة ـ والنقاط المنتشرة عليه بحبر مصري أحمر تدل على الجهد الذي بذله العالم المصري لفهم النص

المكتوب بلغة أجنبية وهو شاهد عيان على دراسة الأدب البابلي بحماس منذ تلك العصور القديمة حتى في بلاد الفراعنة. وفيما العجب أن الشيء نفسه حدث في فلسطين سواء أكان في وقت مبكر أم متأخر وأن سلسلة من روايات الكتاب المقدس تظهر فجأة في صيغتها الأولى من ظلمة تلال الكنوز البابلية؟

قسم البابليون تاريخهم إلى مرحلتين: مرحلة قبل الطوفان ومرحلة ما بعده. والحقيقة أن الأراضي البابلية شهدت الكثير من الطوفانات وقد تعرضت ـ مثل كل السهول الطميية التي تصب أنهارها الكبيرة في البحر ـ لأشكال رهيبة من الطوفانات: أعاصير أو زوابع مرافقة بهزات أرضية وهطول أمطار غزيرة. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه حدث إعصار من هذا النوع في عام ١٨٧٦ م ابتداءً من خليج البنغال مع عاصفة رعدية وبقوة ذهبت بصواري السفن على بعد ٣٠٠ كم، ثم اقترب من مصب نهر الغنج حيث اصطدمت بالجزر موجة الإعصار العالية والعريضة التي تحولت إلى موجة ضخمة غمرت مياهها في وقت قصير ١٤١ ميلاً مربعاً مع ارتفاع ٤٥ قدماً وأهلكت ٢١٥٠٠٠ نسمة إلى أن ارتطم الفيضان بالمناطق المرتفعة، عندئذ يمكننا أن تصور أبعاد الكارثة نتيجة إعصار من هذا النوع في السهول البابلية في تلك العصور القديمة.

وقد أثبت الجيولوجي المشهور «إدوارد سويس»[1] من مدينة فيّنا خطوة خطوة حدوث مثل هذا الإعصار الذي أدى إلى الطوفان

---

(١) Eduard Suess

الموصوف في الرواية البابلية المكتوبة على اللوح (الشكل رقم ٣٦) الذي عثر عليه في مكتبة **سردنبال** في مدينة نينوي ويعود تدوين هذا النص إلى الألف الثاني قبل الميلاد: كان للبحر الدور الأول ولذلك دفعت السفينة التي بناها نوح البابلي «زيوسودرا» نحو منحدرات الجبال



الشكل رقم ٣٦: لوح طيني عليه رواية الطوفان

الأرمينية ـ الميدية، وما عدا ذلك تتطابق هذه الرواية وسفر الطوفان المعروف لجميعنا، إذ يأمر «إيا» إله أعماق المياه «زيوسودرا» ببناء

سفينـة بقياسـات محـددة وطليها بالقار ثم نقل أسرته إليها وبذر كل شيء؛ بعد دخولهم وإغلاق بابها تطفو السفينة على الأمواج العاتية حتى تحط أخيراً على جبل اسمه «نصير» ثم يأتي النص المشهور:

«وعندما حل اليوم السابع أتيت بحمامة وأطلقتها في السماء. طارت الحمـامة بعيداً وما لبثت أن عادت إليّ. لم تجد مستقراً فآبت»[٢].

ونتـابـع قراءة النص القائل بإطلاق السنونو وعودته حتى رأى الغراب أخيراً أن الماء قد انحسر فلم يعد إلى السفينة؛ ثم يخرج «زيوسودرا» من المركب وعلى قمة الجبل يقدم القربان الذي يتشمم الآلهة رائحته الزكية الخ . . . إن هذه الرواية بأكملها وبتمام هذا النص المكتوب هنا انتقلت إلى كنعان. ولكن هناك اختلافاً جوهرياً في طبيعة الأراضي وفات المؤلف أن البحر كان العامل الرئيسي، وهكذا نجد في الكتاب المقدس روايتين عن الطوفان لا يمكن حدوثهما وفق العلوم الطبيعية فحسب بل تختلف الواحدة عن الثانية اختلافاً تاماً، فالرواية الأولى تحدد مدّة الطوفان بـ ٣٦٥ يوماً بينما تحددها الثانية بـ ٤٠ + (٣ × ٧) = ٦١ يوماً. ويدين العلم بمعرفة أن الكتاب المقدس جمع بين روايتين مختلفتين عن الـطوفـان لـ «جـان أستـروك»[٣] الارثـوذكسي الطبيب الخاص بالملك «لويس الرابع عشر»، وقد كان أول من تفحص كتب

---

(٢) من أجل مقارنة شاملة بين الطوفان البابلي والطوفان التوراتي، راجع كتاب فراس السواح: مغامرة العقل الأولى فصل الطوفان ـ المترجمة ـ.

(٣) Jean Astruc

موسى الخمسة وكان بذلك مؤسس «نقد كتب موسى الخمسة»، وهذا يعني: البيان أن كتب موسى الخمسة مؤلفة من مصادر مختلفة جداً. إنها لحقائق علمية لا تتزعزع مهما أغمضت العيون تجاهها على طرفي المحيط. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن كبيرين مثل «لوتر» و «ميلانختون» استنكرا النظام الكوني العائد إلى العالم «كوبرنيك» فلا عجب في الأخذ البطيء بنتائج نقد كتب موسى الخمسة، ولكن سوف تتضح الأمور تدريجياً. ـ وحتى الملوك البابليين العشر الذين حكموا قبل الطوفان قد تبناهم العهد القديم بالسمات المشتركة في التفصيلات بينهم وبين الأجداد العشر قبل الطوفان.

علاوة على ملحمة جلجامش البابلية التي يشكل فيها اللوح الحادي عشر رواية الطوفان، نملك قطعة أدبية جميلة ثانية وهي: ملحمة التكوين: تبعاً لهذه الرواية كانت في البداية المياه الأولى المظلمة والفوضوية المسماة «تعامة». ولما باشر الآلهة في تنظيم الكون، وقفت تعامة التي ظهرت أغلب الأحيان بشكل التنين أو بشكل الأفعى ذي الرؤوس السبعة، معادية للآلهة متسلحة بأشكال وألوان من الوحوش التي أظهرتها إلى الوجود، ولاسيما أفاع ملئت أجسادها بالسم. وبجيشها هذا تهيأت لبدء الصراع مع الآلهة. اتجف الآلهة كلهم من الخوف لدى رؤيتهم العدو الرهيب، والإله «مردوخ» إله النور وإله شمس الصباح والربيع وحده كان مستعداً للصراع بشرط أن تكون له المكانة الأولى بين الآلهة. ثم يأتي مشهد رائع: صنع شبكة وثبتها عند الجهات الأربع حتى لا تفلت منه تعامة. ثم اعتلى بدرع مهيب

وبهالة جليلة مركبته التي تجرها أربعة أحصنة متقدة النشاط وقد أحاط به الآلهـة بنـظرات الإعجـاب. وانـدفـع إلى اللقـاء مع تعامة وجيشها ودعاها إلى معركة ثنائية. عندذاك أطلقت صراخها عالياً وهي هائجة مرتعدة في أعماقها. وعندما فتحت فمها دفع فيه الرياح الشيطانية ثم أطلق رمحـه ومـزق قلبها وطرح جثتها أرضاً واعتلى عليها بينما رمى أعـوانها في الأصفاد. ثم شق جثة تعامة نصفين مثل سمكة، ورفع نصفهـا الأول وشكـل منه السماء ومن نصفها الثاني شكل الأرض، فكـانت قبـة السمـاء فاصلاً بين المياه العليا والمياه السفلى، وزيّن السمـاء بالقمـر والشمس والنجـوم ومـلأ الأرض بالنبت والحيوانـات، وأخيراً خلق الزوجين الأوليين بمزيج من الطين والدم الإلهي.

وبما أن مردوخاً كان إله بابل الرئيسي فلا عجب في أن انتشرت هذه الرواية بالذات انتشاراً واسعاً في كنعان. وقد جعل شعراء العهد القديم وأنبياؤه «يهوى» صاحب البطولة التي قام بها مردوخ ومجّده على أنه البطل الذي سحق رؤوس التنانين (المزمور ٧٤: ١٣ و ٨٩: ١١) والذي ينحني تحته أعوان رهب (أيوب ٩: ١٣). ويبدو أن مواضع كثيرة في الكتـاب المقـدس كما في إشعيا (٥١: ٩:) «استيقظي استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القدم كما في الأدوار القديمة. ةألست أنت القاطعة رهب الطاعنة التنين». أو كما في (أيوب ٢٦: ١٢): «بقوته يزعج البحر وبفهمه يسحق رهب». تفسرها الصورة الصغيرة التي عثرت عليها بعثتنا وهي تمثل الإله مردوخ في جلالتـه وبـذراعه القوية وعينه وأذنه الواسعتين اللتين ترمزان إلى

ذكائه وتحت قدميه تنين المياه الأولى المغلوب عليه[1].

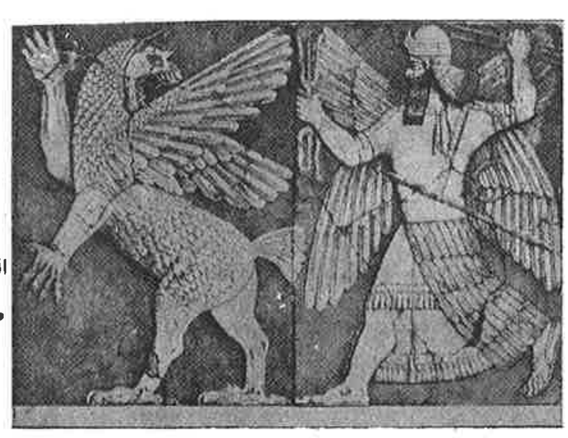
وقد حاول العالم الكهنوتي الذي ألف سفر التكوين الأصحاح الأول إبعاد كل السمات الميثولوجية عن رواية التكوين هذه. ولكن تتضح العلاقة الوثيقة بين رواية التكوين في العهد القديم ورواية التكوين البابلية، من افتراضه بأن المياه الفوضوية الداكنة المسماة



الشكل رقم ٣٧: الإله مردوخ

(١) يبدو أن مثل هذه التصورات التوراتية، ذات صلة بالميثولوجيا الاغاريتية أكثر من صلتها بالميثولوجيا البابلية. راجع: فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، فصل سفر التنين.
ومن أجل النص الكامل لأسطورة التكوين البابلية ومقارنة شاملة لها مع التكوين التوراتي. راجع نفس المؤلف، فصل سفر التكوين ـ المترجمة ـ.

[illegible] أي تعامة بداية كل شيء ثم بروز السماء والأرض وتزيين قبة السماء بالشمس والقمر والنجوم وإكساء الأرض بالنباتات ومثلها بالحيوانات وأخيراً خلق الزوجين الأوليين على يد الله. وفي الوقت نفسه ندرك أسباب عدم نجاح كل المحاولات في التوفيق بين سفر تكوين العهد القديم ونتائج العلوم الطبيعية. والجدير بالذكر أن هذا الصراع بين مردوخ وتعامة مازال يأتينا صداه في رؤيا يوحنا في الصراع بين رئيس الملائكة ميخائيل و«حيوان الهاوية الحية القديمة المدعوة إبليس والشيطان» (رؤيا يوحنا ١٢ : ٩). إن كل هذه التصورات ومنها حكاية الفارس والقديس «جورج» وصراعه مع التنين تعود إلى الروايات البابلية. فقبل قرون كثيرة من تدوين سفر الرؤيا وسفر التكوين الأصحاح الأول نجد الصراع المتجدد في كل يوم وكل فصل ربيع بين قوة النور وقوة الظلام على نقوش جدران البلاطات الآشورية (الشكل رقم ٣٨).



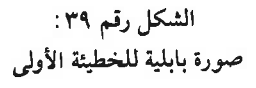
الشكل رقم ٣٨ :
صراع مع التنين

ولكن في إدراك هذه العلاقة ما هو أهم من ذلك: إن في قلب كل إنسان ترسخت الوصايا التي تنص على ألا تمس الآخر بسؤ كما تريد ألا يمسك بسوء، «فلا تقتل ولا تزن ولا تسرق»، وهي الطلبات الأساسية التي تمليها علينا غريزة حب البقاء، وقد ألفها البابليون على الشكل نفسه الذي وردت به الوصايا الخامسة والسادسة والسابعة في العهد القديم. ولكن الإنسان أيضاً مخلوق يحتاج إلى الحياة الاجتماعية ولذلك تكون الواجبات مثل الاستعداد للمساعدة والرحمة والمحبة جزء من الطبيعة الإنسانية لا يتجزأ عنها. لذلك حينما يستدعى الساحر البابلي إلى مريض ويبحث عن الذنب الذي ألقى به على فراش المرض، لا يتوقف عند الذنوب الكبيرة مثل القتل أو السرقة بل يسأل أيضاً: هل امتنع عن إلباس عريان؟ هل منع أسيراً عن رؤية النور؟ وكان البابلي يهتم حتى بمراتب الأخلاق الإنسانية العليا، فقول الحق والوفاء بالنسبة له واجب مقدس، كما أن التفوّه بالإيجاب مع النفي في القلب جريمة تستحق العقاب. ولا عجب أن البابليين، وشأنهم في ذلك شأن العبرانيين، كانوا يعتبرون مخالفة تلك النواهي والوصايا خطيئة، لأن البابليين أيضاً كانوا يشعرون أن مصيرهم مرتبط بشكل مطلق بالآلهة.

أما الذي يجدر بالاهتمام بشكل خاص أنهم أيضاً اعتبروا معناة الإنسان ولاسيما المرض والموت عقاباً لارتكاب خطيئة. إن مفهوم الخطيئة يسيطر على بابل وعلى الكتاب المقدس على حدّ سواء. فنقرأ في العهد القديم الرواية الجميلة والعميقة عن إغراء الحية للمرأة -

إذاً الحية مرة أخرى؟ وكأنها قصة بابلية: ترى؛ هلِ هي الحية وعدو الآلهــة اللدود التي حاولت الانتقــام من آلهـة النـور بإفسـاد أعلى مخلوقاتهم؟ أو هل هي الإله الذي قيل عنه إنه «هدم مسكن الحياة»؟ إن السؤال عن أصل رواية الخطيئة الأولى المدونة في العهد القديم أهم سؤال فيما يخص تاريخ الدين ولاسيما في علم اللاهوت الخاص بالعهد الجديد، الذي كما هو معروف يضع مقابل آدم الأول المسؤول عن وجـود الخـطيئـة والموت في الدنيا آدم الثاني[1]. أتسمحون لي بإزاحة الستار؟ إذاً، فأشير إلى ختم اسطواني بابلي قديم (الشكل رقم ٣٩): في الوسط الشجرة بثمارها المتدلية وعلى الطرف اليمين الرجل المتميّز بقرنين وهما رمز القوة، ثم على الطرف اليسار المـرأة بيديها الممتدتين إلى الثمرة ووراء المـرأة الحيّة. ألا يحتمل أن هناك رابطة بين الصورة البابلية القديمة ورواية العهد القديم عن الخطيئة الأولى[1]؟





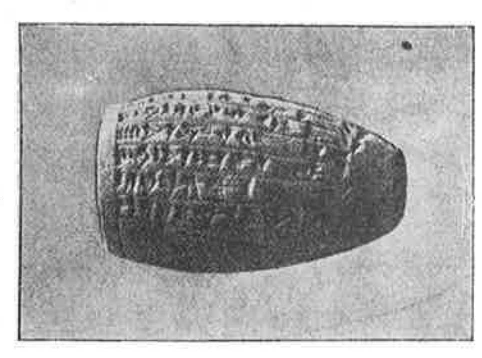
الشكل رقم ٣٩:
صورة بابلية للخطيئة الأولى

---

(١) أي المسيح الذي ابتدأ معه تاريخ الخلاص والتحرر من الخطيئة ـ المحرر.

(١) لقـد صار مؤكداً الآن، أن القرون في كل الأعمال الفنية للشرق القديم هي رمز للآلـوهية. ولـذلـك من المستبعـد أن يكـون الختم المذكور هنا ممثلاً للرجلين البشريين الأولين ـ الناشر ـ.

إن الإنسـان يمـوت وبينما يوضع جسمه في القبر تنزل روحه المنفصلة عنـه إلى «البلد الـذي لا عودة منـه» إلى «الشيئـول» أي الهاديس وهو ذلك المكان المليء بالتراب ذلك المكان المظلم الذي ترفرف فيه الأشباح مثل الطيور في وجود خامل وخال من السرور: تغطي الغبرة الباب والمزلاج وكل ما ابتهج به قلب الإنسان سابقاً تحول إلى عفن وتراب. تجاه مثل هذا المستقبل الكئيب لا يستعصي عن الفهم أن العبـرانيين والبـابليين على حد سواء كانـوا يعتبرون العمر الطويل خير ما يرجى. ويشهد على ذلك الشارع الطويل الذي اكتشفته بعثتنا في بابل والذي سارت عليه مواكب عباد الإله مردوخ، وهو شارع معبَّـد بألـواح حجـرية نقشت على كل منهـا صلاة من صلوات الملك نبـوخـذناصر، وكل صلاة تنتهي بالكلمات التالية: «يا ربّي مردوخ، أهدني عمراً طويلاً». ولكن ما يدعو إلى العجب أن التصور البابلي عن العـالم الأسفـل ألطف بعض الشيء من الذي نجده في العهد القديم. فعلى اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش نجد وصفاً دقيقاً جداً للعـالم الأسفـل البابلي. في هذا النص نقرأ عن مكان خاص بالنـاس الأكثر تقىً «حيث يضطجعون على الأرائك ويشربون الماء النقي». وقد عثر على عدد كبير من التوابيت البابلية في الوركاء (-War ka) ونيبور (Nippur) وبابل، واقتنى قسم الشرق الأدنى التابع لمتاحف برلين مخروطاً طينياً صغيراً (الشكل رقم ٤٠) كان قد وضع في أحد هذه التوابيت وعليه نقش كلمات مؤثرة تنص على رجاء من وجد هذا التابوت أن يتركه في مكانه ولا يمسه بضرر. ويختم هذا النص الصغير



الشكل رقم ٤٠ :
مخروط طيني مأخوذ من تابوت بابلي

بدعاء البركة لمن يعمل هذا المعروف: «لبيقى اسمه مباركاً في الدنيا ولتشرب روحه الماء النقي في العالم الأسفل» أي أن يقيم في الشيئول في المكان الخاص بالناس الأكثر تقىً حيث يضطجعون على الأرائك ويشربون الماء القراح. أما بقية الشيئول فيدخلها عموماً غير الاتقياء وهو مكان مليء بالتراب لا ماء فيه أو إذا وجد كان ماء معكراً على أكثر تقدير. على كل حال إنه مكان يعانى فيه من العطش، أليس كذلك؟ وفي سفر أيوب الذي يبدو أنه كان عليماً بالمعتقدات البابلية نجد في (٢٤ : ١٨) الفرق بين صحراء حاره وخالية من الماء للمخطئين وجنّة تجري فيها المياه النقية للأتقياء. ثم نقرأ في العهد الجديد ـ الذي يقوم بدمج عجيب بين هذا التصور ومقاطع سفر إشعيا الأخيرة ـ عن جهنم ملتهب يحترق فيه الرجل الغني ظمأً وعن جنّة يشرب فيها لعازر الفقير الماء النقي. ومن المعروف إلام حول منذ ذلك الوقت الرسامون والشعـراء وعلمـاء الكنيسـة والخوارنة وأخيراً المسلمون هذا الجهنم وذلك الفردوس. انظروا إلى هناك إلى ذلك البدوي الفقير والمريض.

هل تركته القافلة وراءها في الصحراء لأن جسمه الضعيف لم يعد يتحمل متاعب السفر؟ إنه يحفر بيده في رمال الصحراء قبراً لنفسه ومع جرّة صغيرة إلى جانبه ينتظر موته بخشوع. وتلمع عيناه لأن خطوات قليلة فقط تفصل بينه وبين أبواب الجنّة المفتوحة على مصراعيها حيث يقف الملائكة الذين يقولون له: «السلام عليك أيها التقي، ادخل إلى الجنّة التي أعدّها الله لعباده وهم فيها خالدون. إن هذه الجنّة تمتد على طول امتداد السماء والأرض، وتكثر فيها الأشجار بظلالها الوارفة وثمارها الدانية، وتجري من تحتها الأنهار وتتفجر الينابيع في كل أرجائها. أما على ضفة أنهار الجنّة فعرائش لا يرى فيها أصحاب الجنّة شمساً ولا زمهريراً. تتهلل وجوه الطيبين سعادة وابتهاجاً. إنهم يلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ويحلون فيها من بأساور من فضة وذهب، وهم متّكئون على أرائك ووسادات ناعمة وأرجلهم على سجاد سميك. هكذا يرتاحون على سرر متقابلين ويأكلون ما يشتهون إليه. ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، وبأيديهم آنية من فضة وأكواب قوارير يسقون فيها كأساً من معين من عين «تاسمين» الذي هو أنقى ماء يشربه رؤساء الملائكة، له رائحة الكافور والزنجبيل ويسمى سلسبيلاً أن يشربوا منه ما يشاؤون لأنه لا يسكر ولا يسبب وجع رأس. وبالإضافة إلى ذلك هناك حور الجنة وهن فتيات ناعمات نعومة بيض النعام، ونهودهن ممتلئة وعيونهن مثل اللآلىء في الصدفة أو مثل عيون الغزال ونظراتهن عفيفة وفاتنة في آن واحد. ويسمح لكل رجل دخل الجنة أن يختار لنفسه اثنتين وسبعين

فتاة من فتيات الجنة بالإضافة إلى النساء اللواتي كنِ زوجاته في الدنيا إذا كان يرغب فيهن (ولا شك في أن الرجل الطيب يرغب دائماً في الزوجات الطيبات). وقد فارق كل غل صدور المتقين فلا تسمع في الجنة لغواً أو رياءً بل يقولون «السلام عليك، السلام»، وكل حديث ينتهي بالكلمات: «الحمد لله رب العالمين». ـ إن هذه هي النتيجة الأخيرة التي وصل إليها التصور البابلي المتواضع عن الماء النقي الذي يشربه أكثرهم تقىً في العالم الأسفل. وماتزال حتى يومنا هذا التصورات هذه عن عذاب جهنم ونعيم الجنة تسيطر على عقول الملايين!

وأخيراً نعرف أن التخيل عن رسل الإله أي الملائكة منشؤه بابل أيضاً ولا يذكرهم المصريون القدامى البتة. وكذلك صور الكروبيم والساروفيم والملائكة الحارسين الذين يرافقون الإنسان ترجع في أصلها إلى بابل. كان الملك البابلي بحاجة إلى جيش من الرسل ليحملوا أوامره إلى كل أنحاء العالم، ولذلك كان لا بد من أن للآلهة أيضاً كتيبة من الرسل أو الملائكة منتظرين الأوامر: ويتميّز هؤلاء الرسل بذكاء الإنسان ولذلك كان لهم شكل إنساني ولكنهم مجنحون لينقلوا أوامر الآلهة عبر الهواء إلى سكان الأرض. بالإضافة إلى ذلك اتصف هؤلاء الملائكة بباصرة النسر الثاقبة وسرعته كما اتصف الذين كانوا يحرسون بوابات مقر الإله بقوة الثور الفائقة أو هيبة الأسد، وهكذا يكون الملائكة البابليون والآشوريون كما في رؤى حزقيال في هيئة مُّركبة مثل الكروبيم المجنحين وبجسم الثور والوجه الإنساني الرصين

(الشكل رقم ٤١). ولكننا عثرنا في بلاط «آشور نصربال» أيضاً على صور (الشكل رقم ٤٢) تشبه صورنا الحالية للملائكة إلى أبعد الحدود. وسوف نحفظ لهذه المخلوقات النبيلة والرائعة التي حببها إلينا الفن مكاناً خاصاً في قلوبنا. أما الجن والشياطين سواء أتصورناهم أعداء الإنسان أو أعداء الله اللدودين فيحسن بنا توديعهم إلى الأبد لاسيما ونحن رافضون الثقافة الفارسية القديمة. ويقول إشعيا أعظم



الشكل رقم ٤١ : كروب



الشكل رقم ٤٢ : ملاك

الأنبياء في العهد القديم بحق: «مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه». (إشعياء ٤٥ : ٧). لذا فعلى الجن مثل هذين الجنيين (الشكل رقم ٤٣) ـ لا تخلو الصورة

من أهمية لتاريخ المبارزة ـ أو الوجه المخيف مثل الوجه المصور في (الشكل رقم ٤٤) أن يعودوا بلا رجعة إلى ظلمة التل البابلي الذي أتيا منه .



الشكل رقم ٤٣ : مبارزة بين جنيين



الشكل رقم ٤٤ : شيطان

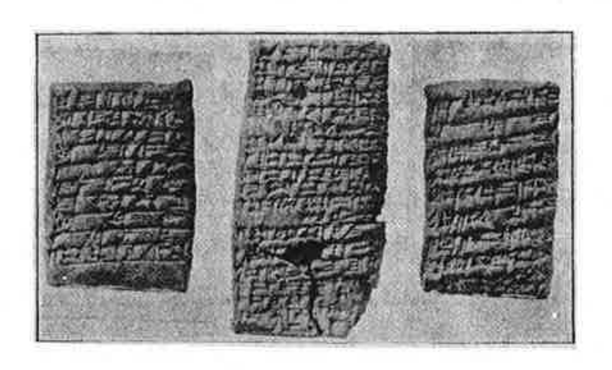
ختاماً لهذا البحث ما يلي : وجد «فيكتور بلاس» (Victor Place) أثناء حفريات في «خورساباد» (Chorsabad) مشاغل بلاط الملك صارغون : منها مستودع أوان فخارية من كل شكل وكل حجم ومستودع آخر وجدت فيه أدوات مصنوعة من الحديد. وكانت هناك مخزونات كبيرة ومرتبة ترتيباً حسناً من السلاسل والمسامير والسدادات والفؤوس البسيطة والمجنحة وقد امتاز الحديد بصنع جيد جعله يطن مثل ناقوس عند دقه ، وكانت بعض هذه الأدوات التي تعود بعمرها إلى

٢٥ قرناً في حالة جيدة إلى درجة أن العمال العرب كانوا يستعملونها مباشرة. ويبدو لنا وصول العصور الآشورية القديمة بهذه الصورة الواضحة إلى وقتنا الحاضر غريباً فعلاً، وقد حدث الشيء نفسه على صعيد الحياة الفكرية. عندما نميّز بين بروج السماء الاثني عشر التي نسميها برج الحمل والثور والجوزاء وما شابه ذلك وعندما نقسم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة والساعة إلى ٦٠ دقيقة والدقيقة إلى ٦٠ ثانية يمكننا أن نلاحظ في كل هذه الأمور تأثير الحضارة السومرية والبابلية إلى يومنا هذا. وأرجو أنني أفلحت في عرض الأدلة التي تشير إلى أن تفكيرنا الديني بواسطة الكتاب المقدس مايزال يلونه الكثير من العناصر البابلية. وبالتحرر من تصورات تلك الشعوب النابغة حقاً وبتحرر تفكيرنا من كل أحكام مسبقة ومترسخة، لن نمس في شيء الدين في جوهره كما علّمه الأنبياء وشعراء العهد القديم ثم المسيح بأعلى مستوى معانيه الروحية، بل سوف يظهر بعد عملية التطهير هذه ديناً أكثر صدقاً وعمقاً. وأريد أن أقول كلمة أخيرة عن أهمية الكتاب المقدس بالنسبة إلى التاريخ العالمي وهي: مذهب التوحيد. هنا أيضاً فتحت لنا بابل أبعاداً جديدة غير متوقعة. عجباً! لا أحد يعلم بالتأكيد ما معنى لفظة الجلالة (Gott) (الله) الألمانية. ويتراوح اللغويون بين المعاني «حياء - انفعال» و«تعزيم». وبخلاف ذلك تتصف لفظة الجلالة السامية «الله» بوضوح، بالإضافة إلى سموها وعمقها إلى حد أن هذه الكلمة الوحيدة تذهب بخرافة «افتقار الساميين الغريب إلى النظرة الدينية، وكذلك بالرأي الحديث والمنتشر في أن دين «يهوى»

وفيما بعد الدين المسيحي دين متطور عن نوع من الفتشية والإيمان بروحانية الطبيعة ووجود الأرواح كما هو الحال عند الشعوب البدائية على الجـزر في المحيـط الهـادي أو الهنود الحمر المعتمدين على الصيد والالتقاط.

يوجد في القرآن الكريم موضع رائع حتى أن شاعرنا «غوته» كان يتمنى أن يراه متناولاً في مسرحية درامية: «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السمـوات والأرض وليكـون من الموقنين؛ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين؛ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلمـا أفـل قال لئن لم يهـدني ربي لأكـونن من القوم الضالين؛ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قومي إني بريء مما تشركون؛ قال إني وجهت وجهي للذين فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين». (سورة الأنعام ٧٥ ـ ٧٩). إن تلك الكلمة من اللغات السامية القديمة أو بالأحرى ذلك الحرف الدالِ على «الله» والذي نعرفه جميعنا من كلمة المسيح «إيلي إيلي لما سبقتني» (الإنجيل متى ٢٧ : ٤٦) هو «إيل» ويعني الهدف، أي الكائن الذي تتجه إليه عينا الإنسان وهو ينظر إلى السماء كما ينظر إلى هدف معين. «كـل إنسـان يبصـر به. الناس ينظرونه من بعيد» (أيوب ٣٦ : ٢٥)، هذا الكائن الذي يمد الإنسان إليه يده ويشتاق إليه قلبه مدفوعاً بعدم استقرار هذه الحياة الدنيوية ونقصها ـ إن هذا الكائن كانت تسميه القبائل السامية «إيل» أو «إلله». ولما كانت تنظر إلى هذا الكائن الإلهي على أنه وحدة متكاملة نجد عند تلك القبائل السامية

الشمالية التي استقرت في حوالي ٢٥٠٠ ق.م. في مملكة بابل أسماء «عطا الله» و«الله معي» و«من ملكوت الله» و«الله ارفع وجهك إليّ» و«الله هو الله» و«لـو لم يكن الله إلهي» الخ... وعلاوة على ذلك حصلت بفضـل مدير القسم المصـري ـ الآشـوري التابع للمتحف البـريطاني على صورة ثلاثـة ألـواح طينية (الشكل رقم ٤٥ ـ ٤٧).



الشكل رقم ٤٥ ـ ٤٧ : ثلاثة ألواح طينية نوقش عليها اسم يهوى

وسوف تسألون: ماذا نستطيع أن نرى على هذه الألواح المصنوعة من الطين الهش بل المكسور وعليها خط منقوش غير واضح؟ صحيح، ولكنها ذات قيمة كبيرة أولاً للتأكد من التاريخ الذي تعود إليه وهو عصر «حمورابي» وأحدها من فترة حكم أبيه «سن موباليت» (Sin - mubalit) وثـانياً للأهمية الكبرى التي تستمدها من ثلاثة أسماء مكتوب عليها والتي لها أهمية كبرى بالنسبة إلى التاريخ الديني وهذه **الأسماء هي**:

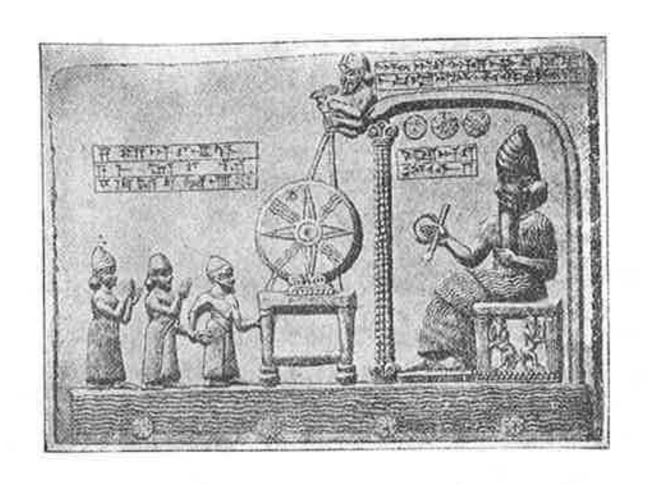
Ia- a'- ve- ilu

Ia- ve- ilu

Ia- ú- um- ilu

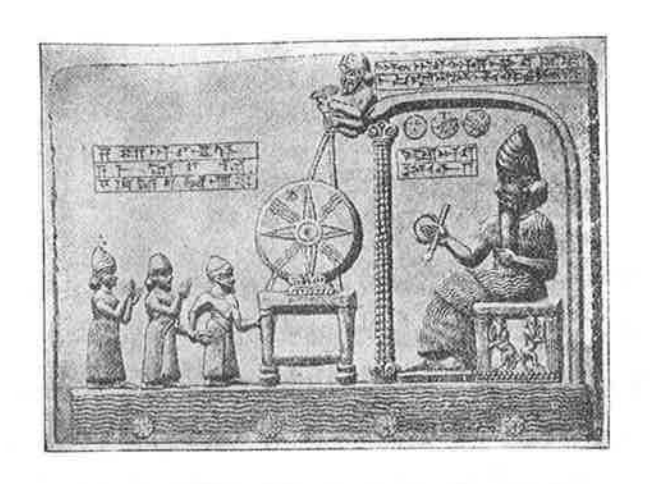
بمعنى «يهوى هو الله». ومعنى يهوى (على حسب معلوماتنا) الكائن والدائم، أي الذي لا يتغير ولا يزول مثلما يزول البشر، بل الذي يوجد فوق قبة السماء ونظام الكواكلب الأزلي، والـذي يؤثر في العالم من جيل إلى جيل. إن اسم «يهوى» هذا ملكية فكرية لتلك القبائل البِدوية التي انفصل عنها بنو إسرائيل بعد ألف سنة.

أما ديانات الساميين المهاجرين إلى مملكة بابل فاختفت بسرعة في معتقد تعدد الآلهة المترسخ لدى أقدم سكانها منذ قرون. ويبدو لنا مجمـع الآلهـة هذا ظريفـاً إذ أن الآلهة البابلية كائنات حيّة وعليمة وحـاضـرة في كل مكان وكل زمان وتستجيب لصلوات البشر، وعلى الرغم من غضبها على ذنوب الناس فإنها على استعداد دائم للغفران والرحمة. ولا نجد في صور الآلهة البابلية الفنية مثل صورة إله الشمس الجالس على العرش في مقدِسه في «سبار» (Sippar) (الشكل رقم ٤٨ وانـظر أيضـاً الشكـل رقم ٢٩) شيئاً غير جميل أو غير نبيل أو شيئاً مضحكاً. وإذا كان النبي حزقيال في رؤياه قد رأى الله راكباً عربة شدت إليها أربعة مخلوقات لكل منها أربعة وجوه، وجه إنسان وأسد وثور ونسر (حـزقيال ١ : ١٠) وعلى الحيوانات شبه مقبّب كمنظر البلور الهائل



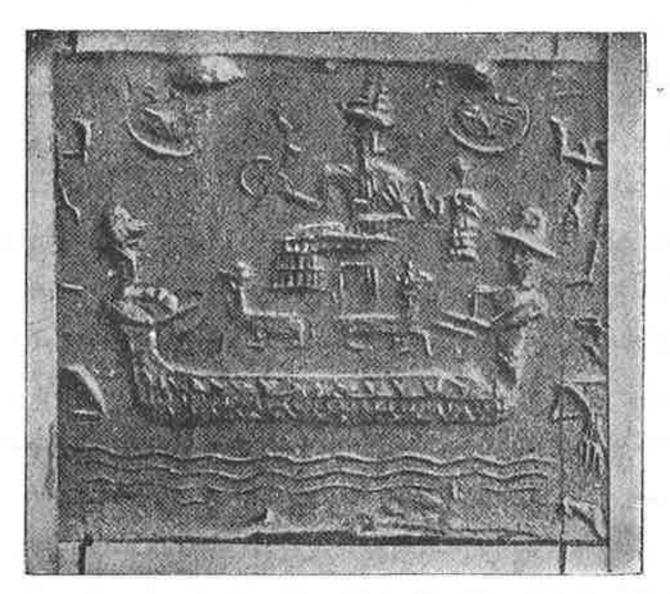
الشكل رقم ٤٨ : إله الشمس في مدينة سبار

منتشراً على رؤوسها من فوق (حزقيال ١ : ٢٢) وفوق المقبّب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق (حزقيال ١ : ٢٦) هذا منظر شبه مجد الرب (حزقيال ١ : ٢٨) وكل ذلك «مثل منظر نار ولها لمعان» (حزقيال ١ : ٢٧)، فان اسطوانة بابلية قديمة (الشكل رقم ٤٩) ترينا منظر إله شبيهاً بهذا الوصف شبهاً يدعو إلى الدهشة: على سفينة عجيبة ينتهي كل من مقدمتها ومؤخرتها إلى جسم إنسان حي يقف كروبان ظهراً لظهر ولكن وجهيهما الإنسانيين موجهان إلى الأمام وتدل وقفتهما على وجود كروبين آخرين على الطرف الآخر. وعلى ظهرها مقبّب وعليه عرش يجلس عليه الإله بلحية ومرتدياً رداء طويلاً وعلى رأسه القلنسوة،



الشكل رقم ٤٨ : إله الشمس في مدينة سبار

منتشراً على رؤوسها من فوق (حزقيال ١ : ٢٢) وفوق المقبّب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق (حزقيال ١ : ٢٦) هذا منظر شبه مجد الرب (حزقيال ١ : ٢٨) وكل ذلك «مثل منظر نار ولها لمعان» (حزقيال ١ : ٢٧)، فان اسطوانة بابلية قديمة (الشكل رقم ٤٩) ترينا منظر إله شبيهاً بهذا الوصف شبهاً يدعو إلى الدهشة: على سفينة عجيبة ينتهي كل من مقدمتها ومؤخرتها إلى جسم إنسان حي يقف كروبان ظهراً لظهر ولكن وجهيهما الإنسانيين موجهان إلى الأمام وتدل وقفتهما على وجود كروبين آخرين على الطرف الآخر. وعلى ظهرها مقبّب وعليه عرش يجلس عليه الإله بلحية ومرتدياً رداء طويلاً وعلى رأسه القلنسوة،



الشكل رقم ٤٩ : أسطوانة ختم تذكر برؤى حزقيال

وفي يمينه كما يبدو صولجان وخاتم، وراء العرش يقف خادم الإله في انتظار إشارة من يده وهو يشبه الرجل «اللابس الكتان» (حزقيال ٩ : ٣ و ١٠ : ٢) الذي هو الآخر ينفذ أوامر يهوى. وعلى الرغم من تعليم كبار العلماء الصريح أن «نرجال ونبو إله القمر وإله الشمس وإله الرعد رمام» وكل الآلهة الأخرى موحدة في الإله مردوخ وهو إله النور على الرغم من ذلك فقد بقي الإيمان بتعدد الآلهة الدين البابلي الرسمي بشكل مطلق ـ أمثولة لخمول الناس والشعوب فيما يخص الأمور الدينية وللسلطة القوية في أيدي كهنة في نظام محكم.

وحتى دين «يهوى»، الذي ـ كأنه لواء ـ وحّد به «موسى» قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة، بقي موصوماً ببعض العيوب الإنسانية: بتصوره الإلـه في صورة الإنسـان وبالطقوس المرتبطة بالضحايا البشرية كما كانت سائدة في طفولة الجنس البشري، وبشريعة سطحية لم تمنع الشـعب قبل سياقه إلى المنفى عن الارتداد المستمر عن الدين بعبادة الإله «بعل» والإلهة «عشتار» إلهي الشعب الأصلي الكنعاني، وذلك لدرجة أنهم قدموا حتى أبنائهم وبناتهم للاله بعل قرباناً، بالإضافة إلى فكـرة «التميّز الإسـرائيلي» حتى جاء الأنبياء ـ مثـل النبي يوئيل ـ بمواعظهم يطلبون بأن تُمزّق القلوب لا الثياب، وكما نقرأ في المزامير (٥١ : ١٧): «ذبـائـح الله هي روح منكسـرة. القلب المنكسـر والمنسحق يا الله لا تحتقره». ويدعون بذلك إلى تقريب الدين من نفس الإنسـان، إلى أن بدأ عصر جديد وهو عصر «العهد الجديد» بمواعظ السيد المسيح ودعوته إلى عبادة الله رب البشر أجمعين بالروح وبالصدق.

ردود وتعليقات

ألقيت هذه المحاضرة التي نشرت في ١٣ كانون الثاني ١٩٠٢ في المعهد العالي للموسيقى في مدينة برلين بحضور جلالة القيصر[1] باسم «معهد المشرق الألماني» ثم أعيد إلقاؤها بناءً على طلب جلالة القيصر في القصر الملكي في برلين.

وقد فهم معظم المستمعين مع استثناءات قليلة معنى العنوان فهماً صحيحاً وهو: «مملكة بابل مفسرة للكتاب المقدس ومصورة له». وكتبت الصحيفة الشليزية في ٢٣/ ١/ ١٩٠٢: «بابل والكتاب المقدس ـ هذا هو بإيجاز شديد عنوان المحاضرة ولكنه ذو معان كثيرة تدل على أن المحاضر يقصد مناقشة نتائج الحفريات البابلية والآشورية بعلاقتها مع الكتاب المقدس».

وفيما يلي بعض الرسائل من الكثرة التي وصلت إليّ بعد عودتي من أرض بابل ردّاً على محاضرتي «بابل والكتاب المقدس» لما فيها

(١) فيلهيلم الثاني، القيصر الألماني الأخير، فترة حكمه ١٨٨٨ ـ ١٩١٨ (المترجمة).

من مناقشات مفصلة وملاحظات ذات أهمية علمية. أما ملاحظاتي فتخدم أغراضاً مؤقتة وسوف نقوم بمناقشة إجمالية ونقدية لكل الاعتراضات بعد جمع بقية حلقات «بابل والكتاب المقدس».

«ي. بارت»، (J. Barth)

«بابل والدين الإسرائيلي»، محاضرة، برلين **١٩٠٢**، **٣٢** ص.

«د. كارل بدّه» أستاذ جامعي (Prof. Dr. Karl Budde)

«العهد القديم والحفريات»، غيسن **١٩٠٣** (ألقيت هذه المحاضرة في **٢٩/ ٥/ ١٩٠٢** في المؤتمر اللاهوتي في مدينة غيس). **٣٩** ص، لا تخص «بابل والكتاب المقدس إلا الصفحات **١ ـ ١٠**»..

قد يفيد الموضع التالي الذي ورد في محاضرة «بدّه» (ص ٦ وما يليها) **أمْرنَا**: «مما يستوجب الشكر هو اللجهة الحازمة والرصينة في إبراز بعض الحقائق التي صارت في لحمنا ودمنا منذ زمن طويل بينما لايزال كبار رجال الدين يعيّرون قائلها بالإلحاد. وذلك فيما يخص تأليف كتب موسى الخمسة من عدد كبير من المصادر المختلفة جدّاً، واعتماد أقسام كبيرة من سفر التكوين ورواية الطوفان وألواح شيئا على الميثولوجيا البابلية، وعدم النجاح في التوفيق بين رواية سفر التكوين والعلوم الطبيعية.

«د. فر. هومل» أستاذ جامعي (Prof. Dr. Fr. Hommel)

«تماثيل من المشرق القديم والعهد القديم»، ردّ على الكتاب «بابل والكتاب المقدس» تأليف فريدرخ ديليتش، برلين ١٩٠٢، ٣٨ ص.

«إن موقف الرفض من التمييز بين المصادر المختلفة لكتب موسى هو بلا شك الطريقة الأسهل والأكثر راحة. ولكن هذا غير ممكن لمجرد وجود روايات متكررة لا نستطيع تجاهلها فهي موجودة بكل وضوح لاسيما فيما يخص روايات العهد القديم عن البدايات». (ص ١٥) «ولا يصعب علينا تقديم البرهان على ارتباط سفر التكوين الوثيق برواية تكوين كلدانية لم تصل إلينا» (ص ١٨!). «نرى من النظرة الأولى أن الكلمة «شاباتو» (Šapattu) مستعارة من اللغة الكلدانية؛ أما لفظها البابلي فيجب أن يكون «شابتو» (Šabtu) (من «فاشاب» (Wašab) ـ جلس، ارتاح)» (ص ١٨ وما يليها).

«د. ألفريد إرميا» (Dr. Alfred Jeremias)

لايبزيغ، «المعركة حول بابل والكتاب المقدس»، كلمة للتفاهم والدفاع، الطبعة الثانية غير المنقحة، لايبزيغ ١٩٠٣، ٣٨ ص.

«د. ر. كيتل» أستاذ جامعي (Prof. Dr. R. Kittel)

«الحفريات البابلية وسفر التكوين في العهد القديم»، الطبعة

الثانية غير المنقحة، لايبزيغ ١٩٠٢، ٣٦ ص. راجع ملاحظاتي في الجزء **الثاني**.

«ف. كنيشكه» قسيس في مدينة سيفرسدورف (W. Knieschke)

«الكتاب المقدس وبابل - إيل وبعل»، ردّ على الكتاب «بابل والكتاب المقدس» لـ «فريدرخ ديليتش»، برلين - غرب ١٩٠٢، ٦٤ ص.

«د. إدوارد كونيغ» أستاذ في الفلسفة والدين

(Prof. Dr. Phil. Und Theol. Eduard Koenig)

«الكتاب المقدس وبابل»، موجز عن تاريخ الحضارة، الطبعة السادسة مع مراعاة أحدث الكتابات عن «بابل والكتاب المقدس»، برلين ١٩٠٢، ٦٠ ص.

تناول «ب. **كايل**» (P. Keil) كتاب «كونيغ» بالنقد التالي (راجع ص ٦٧ لكتابنا): «يظهر من كرّاسة «كونيغ» أنه غير متضلع في علم الآثار الآشورية، ويؤيد ذلك طريقته في معالجة العبارة «يهفي إيلو» (Jahve - ilu). ولِمَ المغامرة بالولوج في متهات علم الآثار الآشورية»؟ (راجع ص ٦). وبالفعل ليس هناك ما هو أقل نضجاً من الصفحات ٨ - ١٠ و٣٨ وما يليها و٤٥ - ٤٩ لكتاب «كونيغ»: «إن الله هو الحقيقة الروحية التي كانت موجودة قبل وجود العالم وهي باقية عبر كل مراحل تطوره، قلب العالم النابض في كل تقلبات التاريخ»

(ص ٥٣). «يشكل الانسجام بين الله والإنسان بوابة الفجر اللاهب إلى سبل الله التاريخيـة كما أنه الميناء الذي ترفرف فوقه الرايات حيث تصبّ سبل الله الزمنية راجعة إلى الخلود» (ص ٥٤). «طمح البشر في بابل في الوصول إلى السماء، أما في الكتاب المقدس فتدخل السماء في حياة البشر البائسة» (ص ٥٩). ما أحسن وقع هذه الكلمات في النفس! ولكنها لا تعمينا عن الحقيقة أن «كونيغ» نفسه استبعد فكرة تأثير الوحي الإلهي في مؤلفي العهد القديم وأنه يتهم العهد القديم بأنه يحتوي على أخطاء لا يمكن إنكارها» (ص ١٠٤) فيعريه بذلك من جوهـر الوحي الإلهي، ـ ذئب على الرغم من ثوب الحمل. (راجع أيضـاً منـاقشـة «هـ. فينكلر» (H. Winckler) المنشـورة في ملحق «صحيفة ألمانيا الشمالية العامة» (Norddeutsche Allgemeine Zeitung) يوم الأحد ٣ آب ١٩٠٢.

«د. صم. أوتلي» **أستاذ جامعي** (Prof. Dr. Sam. Oettli)

«المعركة حول الكتاب المقدس وبابل». محاضرة في التاريخ الـديني، الـطبعة الثانية، لايبزيغ ١٩٠٢، ص ٣٢. ـ ترجع أقوالي التالية إلى الطبعة الأولى.

يرى «أوتلي» أيضـاً (ص ١٣) أن «شكـل الكتـاب المقـدس الحـالي يدعـو، على أسـاس الاقتنـاع شبه العام، إلى التخلي عن الاعتقاد الخاطىء بالوحي، والذي يرى في نصوص الكتاب المقدس حرفية كلمـة الله المـوحاة». ومما يستوجب الشكر معارضة «أوتلي»

لافتـراض وحـي أول (ص ١٢ ـ ١٥)؛ وأشير بشكـل خاص إلى الصفحة ١٤ حيث يقول: إن ذلك الوحي الأول الذي تم بواسطته نقل المعرفة عن الكون والعالم التي بقيت محفوظة بصورتها الحقيقية عند بني إسرائيل فقط بينما اتخذت صورة مشوهة عند غيرهم، إن ذلك فرضية وليس هنـاك ما يؤيدها تاريخياً؛ ومن الخطأ الأكبر أن يصبح تأييدهـا دعوة إلى إيمان لا يتزعزع بالكتاب المقدس. وتتوقف هذه الـدعوة على الاعتقاد بالوحي فقط، هذا الاعتقاد المتخلى عنه منذ وقت طويل والذي أثره مايزال موجوداً في زاوية مظلمة من وعينا حيث يعمـل عمله. صحيح أنـه عنـد بعض النـاس مرتبط بإيمـان جدير بالاحترام ولكنه لا يعتمد على حقيقة تاريخية لا يرقى إليها الشك».

الحبر «د. لودفيغ أ. روزنتال» (Rabb. Dr. Ludwig A. Rosenthal)

«بابل والكتاب المقدس أو بابل ضد الكتاب المقدس»؟، كلمة للإيضـاح، برلـين ١٩٠٢ ٣١ ص. (راجـع «ب. كايل» (ص ٦ ملاحظات): «تقوم كتابة «روزنتال» على أقوال مبدئية، أما الذي يرمي إليه فغير واضح».

«برنو بينتش»، أستاذ جامعي، يينا (Prof. Bruno Baentsch, Jena)

«بـابـل والكتـاب المقدس»، بحث يتناول محاضرة «فريدرخ ديليتش» التي نشـرت تحت هذا العنـوان مع التـركيز على النقـاط المتعلقـة بالتـاريخ الـديني؛ ظهـر في: «المجـلات البـروتستـانتية

الـشـهـرية»، «د. يولـيوس فبسكي». ص ٦، العـــدد ٨ (١٥ آب ١٩٠٢)، برلين ١٩٠٢.

(Protestantische Monatshefte, D. Julius Websky, Berlin)

راجع أيضاً المقالتين بقلم «برنو بينتش» تحت عنوان «بابل والكتاب المقدس مرّة أخرى»، ٢ و ٩ آذار ١٩٠٢.

«د. ث. هـ كورنيل»، أستاذ جامعي، برسلاو (Prof. D. C. H. Cornill Breslau)

صحيفة الأدب الألماني ١٩٠٢، العدد ٢٧ (٥ تموز) (Deutsche Literaturzeitung)

يتميّز هذا المقـال مثـل «الكتاب المقدس وبابل» لـ «كونيغ» بضيق الأفق وضعف المحاكمة.

«هانريخ دنيل»، شونبيك أ. ا. (Heinrich Danneil, Sehoenebeck)

«بـابل والكتاب المقدس»، صحيفة ماغدبورغ، العدد ٢٥، ملحق، ١٩٠٢. (Magdebuegische Zeitung, Beiblatt)

«د. ف. إنغلكمبير»، أستاذ، مونستر (Dr. W. Engelkemper, Muenster)

«بابل والكتاب المقدس»، الملحق العلمي لمجلة «جرمانيا»، س ١٩٠٢، العدد ٣١ (٣١ تموز) و٣٢ (٧آب)، برلين ١٩٠٢.

(Wiss enschaftliehe Beilage Zur Germania, Berlin)

متأثر بـ «كونيغ» و «ينزن» (Jensen). لسبب معين أريد أن أنقل كلمـة عالم الـدين الكـاثوليكي التالية: «مع أن المسيحية في كتبها وتقاليدها تعتمد على العهد الجديد فإن حقيقة العهد الجديد مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحقيقة العهد القديم، أي أن العهد الجديد نتيجة تاريخية ومنطقية للعهد القديم».

«د. بيتر ينزن»، أستاذ جامعي (Prof. Dr. Peter Jensen)

«بـابـل والكتـاب المقـدس»، مجلة «العـالم المسيحي»، ص ١٦، ١٩٠٢، العدد ٢١ (٢٢ أيار)، عمود ٤٨٧ - ٤٩٤. (Die ehristliehe Welt)

لا يثبت مقال «ينزن» حتى ولا في نقطة واحدة أمام النقد، ولذا لن يضر الحقيقة على الدوام.

«فرانس كاولن»، بون (Franz Kaulen, Bonn)

«بابل والكتاب المقدس»، «المرجع الأدبي للمؤمن الكاثوليكي الألماني»، ص ٤٠، العدد ٧٦٦، و٧٦٧، ٢/ ١٩٠١. (Literarischer Handweiser Zunaechst fuer alle Katholiken deutscher Zunge)

يختم هذا المقال كما يلي: «لم تحقق بعد نتائج العمل الذي قامت به البعثة الألمانية منذ ثلاث سنوات آمالنا لاسيما إذا ما قورنت

بالنتائج التي حققتها البعثة الأمريكية في الوقت نفسه. ومما لا شك فيه أن اهتمام الشعب الألماني بهذا الأمر لن يعوض عن الضرر في صميم حياتنا الذي ينجم عن ميل البحث الألماني إلى إحلال العلم - هنا علم الآثار البابلية - محل الوحي الإلهي. وبواسطة «ديليتش» استطاعت طبيعة بابل اللامتغيرة في عداوتها لله والوحي الإلهي أن تظهر مرّة أخرى لتنتقل إلى هذا الكتاب و«معهد المشرق الألماني» (Deutsche Orient - gesellschaft) . إني لمحتج على هذه التهمة الأخيرة، فمعهد المشرق الألماني لا علاقة له بآرائي التي عبرت عنها في محاضراتي حول بابل والكتاب المقدس. وسوف يرحب المعهد كما أرحب أنا شخصياً بأن يخبره علماء آخرون وعلى رأسهم «فرانس كاولن» بالمسائل التي أثرتها أو ما يشبه ذلك.

«ب. كايل»، لندن (P. Keil, London)

«بابل والكتاب المقدس»، «باستور بونوس» مجلة علم اللاهوت والحياة العلمية المتصلة به، يصدرها «د. ب. أينيغ»، عضو الكنيسة الأسقفية، ص XV ، الأعداد ١، ٢، ٣ (١ تشرين الأول و(١ تشرين الثاني) و(١ كانون الأول ١٩٠٢). (Pastor bonus, Zeitschrift fuer Kirchliehe Wissenschaft und Praxis, Domkapitular Dr. P. Eipig)

لا يتصور غير المختص صعوبة تفسير الكتابات المنقوشة: تقابل الأحرف العبرية السبعة والثلاثين لا أقل من ٢٠٠٠٠ زمرة من

الإشارات بالإضافة إلى ٦٠٠ إشارة منفردة. ومن الطبيعي أن المجال في مثل هذه الحالة واسع للوقوع في الخطأ. (ص ٦ بالإضافة إلى الملاحظات).

بغض النظر عن هذا الموقف غير المصيب يستشف نقد هذا القسيس الكاثوليكي معلومات محترمة في علم الآثار الآشورية لم أصادفها بعد عند قسيس بروتستانتي باستثناء القسيس أ. ارميا.

«د. ر. كيتل»، أستاذ جامعي، لايبزيغ (Prof. Dr. R. Kittel Leipzig)

«يهوى في بابل والكتاب المقدس»: المجلة الأدبية الدينية، ص XXIII العدد ١٧ (٢٥ نيسان ١٩٠٢). (Theologisches Literatur blatt)

يحتوي هذا المقال على أخطاء مختلفة ومنها الرأي أن الأسماء الثلاثة «يا، في ـ إيلو» (Ia, Ve - ilu) و «يافي ـ إيلو» (Iave - ilu) و «ياوم ـ إيلو» (Iaum - ilu) تدل على شخص واحد بعينه. وبقلم «كيتل» أيضاً: «يهوى مرّة أخرى في بابل والكتاب المقدس»، المجلة نفسها، العدد ١٨ (أيار ١٩٠٢). وبقلم «كيتل» أيضاً: «مذهب التوحيد في «بابل والكتاب المقدس»، الصحيفة البروتستانتية ـ اللوترية العامة، ١٩٠٢، العدد ١٧ (٢٥ نيسان ١٩٠٢). (Allgemeine evangelisch - Lutherische Kirchenzeitung) خلافاً للحقية يوصف هنا «بابل والكتاب المقدس» بأنه «مظاهرة أمام القيصر والدولة». عندما كنت أحضر محاضرتي لم يكن يتوقع أحد حضور جلالة القيصر بين

المستمعين. وعندما يلاحظ المؤلف أن «قضية ذات أهمية في الحياة العملية (الدينية) إذا ما ارتبطت بسلطان القيصر يمكننا أن نقر أنها قد تجاوزت حدود المناقشة»، فإننا نسمح لأنفسنا بالسؤال: «ترى هل **تجاوز العهد الجديد الذي تلقى مواعظه من المنابر حدود المناقشة»؟**

الحبر «د. س. ماير»، محافظة ريغنزبورغ (Distrikts - Rabbiner Dr. S. Meyer, Regensburg)

«المؤمنون بالفرضيات»، الصحيفة الألمانية الإسرائيلية، (Deutsche Israelitsche Ze- itung) ص ١٩، العدد ٨ (٢٠ شباط ١٩٠٢) و «مرّة أخرى بابل والكتاب المقدس»، المصدر نفسه، العدد ١٠، (٦ آذار). ـ تبدأ المهاجمة الأولى بالكلمات التالية: «لنستمع إلى الحكاية الأولى من حكايات الكتيب المقدس وبابل «الهاذية».

«ريدل»، أستاذ في الدين، غرافزفالد (Lic. theol. Prof. Riedel, Grei- fswald)

«بابل والكتاب المقدس»، صحيفة الصليب الروسية الجديدة، (Neue Preussische (Kreuz -) Ze- itung) ١٩٠٢، العدد ٢١١ (٧ أيار).

«فولف» (Wolf)

«بابل والكتاب المقدس»، صحيفة الكنيسة البروتستانتية، (Evangelische Kirc- henzeitung) ١٩٠٢، العدد ٢٨، (عمود ٦٥٧ ـ ٦٦٢).

تعليقات

تعليق على الصفحة ٩، السطر ١ ـ ٣. ـ إن كل من يعرف إلى أي حدّ يشوه التعليم بتأثير الوحي في العهد القديم تصوراتنا الدينية منذ طفولتنا، ثم تمسك الأرثوذكسية البروتستانتية والكنيسة الكاثوليكية الشديد بأن الكتب العبرية القديمة نتيجة إيحاء، وكل من يعرف الغباء والتعصب في محاربة أي بحث علمي ونقد علمي موجه إلى العهد القديم، سوف يؤيد أن هذا القول غير مبالغ فيه. إن الرسائل التي وصلت إليّ ردّاً على «بابل والكتاب المقدس» من تلك المعسكرات الثلاث التي لم تبخل بالاتهامات والشتائم والتحذيرات شهادة معبرة لصحة قولي على الصفحة ٤. وفيما يلي مثال خفيف اللهجة على تلك المهاجمات من كل جهة من الجهات المعنية.

كتب لي قسيس بروتستانتي من منطقة نهر الـ «موزل» في ٢١ نيسان ١٩٠٢ النص التالي الذي أنقله حرفياً: «إن كتيبك الظريف لصالح للقراء في الأسرة ولإغناء المكتبات الشعبية والمدرسية بشرط حذف الفقرة الخاصة بنقد كتب موسى الخمسة وبعض الأمور الأخرى. والحق أن مثل هذا الكلام لا يفيد نساءنا وأطفالنا في شيء، بل قد يظنون بأن هناك هجوماً على إيمانهم بالكتاب المقدس أو على الإيمان كله (وهل هناك إيمان آخر غير الإيمان بالكتاب المقدس)؟. ألا يمكنك أن تراعي الضعفاء بنشر طبعة جديدة صالحة لهم»؟ ـ في مجلة «باستور بونوس» يختم قسيس كاثوليكي تعليقه على «بابل

والكتاب المقدس» بالكلمات التالية: «إذا صح في الأخلاق أن الشهوة المسبقة سبب لإعماء العقل وإضعاف الإرادة لدرجة انعدام القدرة على التمييز، فالمفروض أن يصح ذلك أيضاً على صعيد العلم. إن هذه النزعة، أي هذه الشهوة المسبقة هي الرغبة في الدعاية والحادثة المثيرة من ناحية، ورفض كل العناصر الإيجابية في كل دين من ناحية أخرى. إنها تشبه «تعامة» التي تلد غيلاناً جديدة لمحاربة النور فقط. ولكنها سوف تنهزم هي الأخرى مثل تعامة البابلية». ـ نشرت الصحيفة الإسرائيلية الألمانية «رسالة شكر وتقدير» موجهة إلى صاحب الصحيفة ومنها النص التالي: «إن المرء يدرك الأثر البعيد الذي يكون لادّعاءات الأستاذ د.، ولكنه يستعصي على الفهم أن تستجيب صحف يهودية ومعلم يهودي لهذا الاتجاه. وعلاوة على ذلك انعقد لسان بقية الأوساط اليهودية أمام هذا الهجوم العنيف. لذلك لك شكري العميق لحفاظك على كرامة توراتنا المقدسة ولما بذلت من جهد للدفاع عن قداسة الوحي الإلهي وسلطانه».

تعليق على الصفحتين ٢٤ و ٢٥، مواكب الآلهة: نقرأ في إشعيا (٤٥ : ٢٠): «لا يعلم الحاملون خشب صنمهم والمصلون إلى إله لا يخلّص»، وفي إشعيا (٤٦ : ١): «قد جثا بيل انحنى نبو. صارت تماثيلها على الحيوانات والبهائم. محمولاتكم محملة حملاً للمعيي». إنهم قلة بين الخبراء الذين لا يفكرون لدى قراءة هذا النص بمواكب الآلهة البابلية التي كانوا يحملون فيها بأبهة أصنام بيل ونبو عبر شوارع بابل. أما «ينزن» (المصدر السابق الذكر، العمود ٤٨٨) فيراني

مخطئاً في التفسير أن إشعيا (٤٦ : ١) عبارة عن وصف لموكب آلهة.

تعليق على الصفحة ٢٩، دعاء تبريك هارون (راجع العدد ٦ : ٢٤): لن أغير قولي في تفسير دعاء تبريك هارون «يرفع الرب وجهه إليك» بما معناه: لتحميك مودته وحبّه. أما إذا قيل ذلك عن إنسان فلا يعني «يرفع وجهه إلى فلان أو إلى شيء» أكثر من أنه يرفع نظره إليه (راجع الملوك الثاني ٩ : ٣٢). وبهذا المعنى استعمل هذا التعبير في أيوب (٢٢ : ٢٦) و(١١ : ١٥) وكذلك في صموئيل الثاني (٢ : ٢٢) حيث القول عن إنسان بريء يستطيع أن يرفع نظره إلى الله أو إلى إنسان آخر. ولكن هذا المعنى غير مناسب إذا كان يخصّ الله. في هذه الحالة تعبر الكلمة عما تعبر عنه الكلمة الآشورية «يرفع عينه إلى فلان» أي أنه يعجب بفلان ويمنحه حبّه، ولا يصح المعنى الذي ورد في المعجم العبري لـ «زيغفريد شتاده» (Siegfried stade)، ص ٤٤١ حيث نقرأ «كلأ برعايته» فيكون معنى «يرفع الرب وجهه إليك» «يحرسك الرب». وإذا كان «ينزن» يلح على أن ترجمة التعبير الآشوري بـ «وجهه» خطأ والصحيح هو «عينه»، فإنه يستطيع بالحق نفسه أن ينكر تطابق معنى الكلمة الآشورية «بيت أمان» (bît Amman) مع الكلمة العبرية «بني عمّون» (benê Ammon). وبالفعل بينما يفضل العبري أن يقول «إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك...» يقول الآشورية بشكل عام «إن كنت قد وجدت نعمة في وجهك...». في مثل هذه الأقوال تتناوب اللفظتان «عين» و«وجه». في اللغة العبرية لا تستعمل الكلمة «رفع عينيه إلى فلان» أي «أحبه»

إلّا للتعبير عن الحب الإنساني الحسي (سفر التكوين ٣٩ : ٧) ـ وتأتي قيمة التعبير الآشوري الكبيرة «رفع عينيه إلى فلان» لفهم دعاء هارون من كونه الكلمة المفضلة التي تقولها الآلهة (ولكن ليس بشكل مطلق كما يظن «ينزن») للتعبير عن حبها لإنسان مختار (أو مكان مفضل). ومقابل رأي «ينزن» القائل بأنني أخطأت باختيار هذا المثال (راجع «ينزن»، العمود ٤٩٠) يواسيني علمي أن العمق الذي اكتسبه دعاء هارون بفضل النصوص المسمارية فقد أيّده العلامة «فرانس ديليتش» (Franz Delitzsch) منذ سنوات كثيرة.

تعليق على الصفحة ٣٠: ـ إن العدد **٢٢٥٠** هو العدد الصحيح وليس **١٠٥٠** كما ورد في عدد من الصحف إثر خطأ مطبعي في صحيفة برلين اليومية. ـ إذا قلت في السطر **١٩** وما يليه بأن حمورابي «شرع جملة كبيرة من القوانين أثبت فيها الحقوق المدنية بكل فروعها» فكان ذلك مجرد استنتاج من عدد من الألواح التي عثر عليها في مكتبة «آشوربنبال». أما اليوم فقد وجدت هذه الشريعة فعلاً وهي محفورة على صخرة من ديوريت ارتفاعها **٢,٢٥** م بأمر من الملك حمورابي، وتشتمل إضافة إلى المقدمة والخاتمة على **٢٨٢** فقرة. تم هذا الاكتشاف الفريد على يد عالمي الآثار الفرنسيين «دو مورغان» (de Morgan) و«ب. شايل» (P. Scheil) في أنقاض أكروبول «سوس» في كانون الأول والثاني ٢ / ١٩٠١.

تعليق على الصفحة ٣٣، السطر ٢٠ وما يليه: «عندما اقتحمت القبائل الإسرائيلية الاثنتا عشرة بلاد كنعان فانها دخلت بلداً كان كلياً

تحت نفـوذ الحضـارة البـابلية». يجدر بنا ها هنا الإشارة بأن الدين الكنعاني بإلهه تموز والإلهة عشتار واضح التأثر ببابل، وكانت هناك قبل دخول بني إسرائيل بلدة باسم «بيت نينيب» نسبة إلى الإله «نينيب» ولا يستبعد وجود معبد للإله «نينيب» في القدس بالذات. (راجع «تسيمرن» (Zimmern) «النصوص المسمارية والعهد القديم»، «شـرادر» (Schrader) الطبعة الثالثة، النصف الثاني، ص ٤١١ من مكتبة النصوص المسمارية ٧ رقم ١٨٣، ١٥.

تعـليق على الـصـفـحـة ٣٤ ، الـســطر ٦ ومـا يليـه ،

يوم السبت: ـ نجد في القاموس (II R 32 No.1) بين جملة من الأيام المختلفة (السطر (16a. b) «أوم نوح لبي» (Ûm nuh Libbi) بمعنى يوم لراحة القلب (يوم الآلهة) بالإضافة إلى مرادفه «شا ـ بات ـ تم» (ša - pat - tum) وهذا الأخير يمكن قراءته «شاباتوم» (šabattum) لكثـرة استعمال الإشارة «بات» (pat) بدلاً من «بات» (bát) (مثلاً في «شـو ـ بات» (šú - pat) صيغة لـ «بات» (bat) بمعنى بيت (Tig - VI 94) أما نظراً إلى مصنف المقاطع (82, 9 - 18, 4159 Col. I 24) فتترجم UD (بـاللغـة السـومـرية)تًا بـ «شا ـ بات ـ تم» (ša - bat - tum) ولا بد من قراءتها كذلك. تؤكد هذه المعلومات الموضوعة في مصنف المقاطع ليس أن كلمة «شاباتم» (šabattum) تشير إلى يوم فحسب بل يبدو أنها تعني ذلك اليوم Zut' isozur بالذات (لأنه يوم الآلهة). لا يمكن أن نستنتج من (83, 1 - 8, 1330 Col. I 25) حيث تترجم ZUR بكلمة «شا ـ بات ـ تيم» (ša - bat - tim) (مباشرة بعد «نوحو» (nuhhu)، ولا من IV

8 حيث تترجم TE بكلمة «شا ـ بات ـ تيم» (ša - bat - tim) (ولماذا لم ترفع الكلمة كالعادة)؟ لا يمكن أن نستنتج بشيء من التأكيد أن لكلمة «شـاباتو» (šabattu) معنى «تهدئة (الآلهة)، والتوبة والصلاة» (راجع «ينزن ZAIV، ١٨٨٩، ص ٢٧٤ وما يليها)، ولا نستطيع أن نعطي للفعـل «شـابـاتـو» (šabătu) معنى مثل «تصالح» (راجع «ينزن» في «العـالم المسيحي»، العمود ٤٩٢) ولاسيما أن ما نعلمه عن الفعل «شاباتو» (šabătu) بالتأكيد هو أنه مرادف لـ «قامارو» (gamăru) (راجع VR 28, 14 ef وما يليه)، أي أن المعنى الوحيد والمؤكد لـ «شاباتو» (šabatu) في الوقت الحاضر هو إنهاء (العمل) والتوقف عن . . والراحة (من العمـل). ويبـدو أن مؤلف قاموس المقاطع (1330 ,8 - 1 ,83) استمد معلوماته ZUR و TE = «شاباتيم» (šabattim) من المعادلات UD. ZUR و UD. TE = «أوم نوحي» (ûm nuhhi) أو «بوشوحي» (puššuhi) = «أوم شاباتيم» (ûm šabattim) . نتيجة ذلك تكون كلمة «شاباتو» البابلية «يوم راحة» قلوب الآلهة واليوم الذي يتوقف فيه عمل الإنسان (وبطبيعة الحال يكون الأخير شرطاً للأول)، وإذا كان التقويم المعـروف (IVR 32/ 33) يحـدد اليوم الـرابـع والسابع عشر والواحد والعشـرين والثامن والعشرين لكل شهر كالأيام التي يتوقف فيها كل عمـل، ألا نستطيع إذاً أن نرى في هذه الأيام «شاباتو» ذاتها؟ ينص القول الوارد على تقويم الأعياد وفقاً لمعلوماتنا الحالية على : ألا يأكل راعي الشعوب العظيمة لحماً مقلياً أو مدخَّناً (؟) (أي مأكولات معدة على النار)، ولا يبدل ثوبه ولا يرتدي أردية بيضاء ولا يقدم قرباناً (وربما

كانت هذه النـواحي تخص سواد الشعب أيضـاً)، فعلى الملك ألا يركب عربته ولا ينطق بحكم، وعلى الساحر ألا يتنبأ في مكان سري، وعلى الطبيب ألا تمس يده مريضاً لأمر ما («أنا كال سيبوتي» ana kal (sibuti) «سيبـوتي» هنا استعملت كما يبدو مثل [illegible] في دانيال ٦ : ١٨ بمعنى أمر، شيء). وسوف تبقى الحقيقة أن يوم السبت العبري في آخر المطاف جذوره في نظام بابل. وإذا كان «كونيغ» يدعي أن يوم السبت العبري يتصف برهبة خاصة في «ممارسة الإنسانية نحو الخدم والحيوان» فلا داعي للمنـاقشة معه. ويفهم اختيار اليوم السابع يوماً للامتناع عن كل عمل كما أشرت إلى ذلك قبل سنوات من أن البابليين كانوا يرون في العدد سبعة عدد الشربكل عام (لذلك أتت تسمية اليوم السابع والرابع عشر والواحد والعشرين والثامن والعشرين في التقويم المذكور على أنها أيام شريرة). يصيب «ألفريد إرميا (المصدر السابق الذكر) في ذكره الرواية التلمودية التي تقص أن موسى كان اتفق مع فرعون على يوم راحة لمواطنيه، ولما سئل أي يوم كان يراه صالحاً لهذا الغرض أجاب: «اليوم السابع المكّرس للكوكب زحل، إذ أن الأعمال التي يقام بها في هذا اليوم غير ناجحة عادة»!

تعليق على الصفحـات ٣٥ ـ ٣٧، روايـة الـطوفان: ـ يقول «أوتلي» (ص ٢٠): «نقلت المـادة الأولية لهـذه الـرواية في العهـد القديم إلى جو مذهب التوحيد والأخلاق الخاصة به، وطهرت هكذا من العنـاصـر المضطربة دينياً وأخلاقياً. فلم يحدث الطوفان نتيجة غضب الآلهة الأعمى وإنما ألقاه إله منصف عقاباً على جنس بشري

حتى اختفى من مسرح التاريخ». إن هذا الرأي غير صحيح إذ أنه من رواية «بيروسوس»[1] يتبين أن البابليين أيضاً اعتبروا الطوفان عقاباً للذنوب ويشير إلى ذلك قوله التالي: «بينما هم ينادون أتاهم صوت من السماء يأمرهم بالتقوى والصلاح ويخبرهم بأن «اكسوتروس» رفع إلى الآلهة ليعيش معهم عيشة خالدة لأنه كان تقياً وصالحاً». وإذا استطعنا أن نستنتج من هذا القول أن نوحاً البابلي نجا من الطوفان لأنه كان تقياً وصالحاً بينما أهلكت بقية البشر عقاباً لتفاقم ذنوبهم فإن القول الذي يوجهه «إيا» إلى «أنليل» صاحب القرار الرئيسي ، والذي جاء في النص المسماري: «عاقب المذنب بذنبه... الخ» يؤكد هذا الاستنتاج. يقول «كونيغ» (ص ٣٢): «إن روح الروايتين مختلفة كل الاختلاف. ويظهر هذا الاختلاف في نقطة واحدة وهي أن البطل البابلي ينجي معه ممتلكاته الحية والمادية أما في رواية العهد القديم فنجد موقفاً أرقى ممثلاً في الحفاظ على عالم الحيوان». إذا زاد الشيء عن حدّه انقلب إلى ضده! فقد تبين من نص «بيروسوس» أن الأوامر التي أصدرت إلى اكسوتروس كانت تنص على أن يحمل إلى السفينة كل حيوان ذي جنح وذوات الأربع. أما النص المسماري فيقول بالتحديد: «وحملت إلى السفينة كل طرائد البرية ووحوشها». بذلك يعترف «كونيغ» نفسه بالموقف الأرقى للرواية البابلية.

---

(١) بيروسوس: كاهن بابلي عاش في القرن الثالث ق.م وكتب تاريخ بابل باللغة اليونانية. راجع نص روايته عن الطوفان في كتاب فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، فصل الطوفان البابلي - المترجمة

تعليق على الصفحتين ٤٠ و ٤٢ ، التكوين: ـ «سمات ميثولوجية» (ص ٤٠، السطر ٢) في سفر التكوين التوراتي. إن ملاحظات «أوتلي» (ص ١٢) صحيحة فيما يخص الافتراض بوجود حالة فوضوية، حيث يقول: «إن فكرة وجود مادة أولية لم يخلقها الله وإنما كان متحكماً فيها لا يمكن أن تكون وليدة الدين الإسرائيلي الذي ـ على الأقل على مستوى الأنبياء[1] ـ يعتمد على مذهب التوحيد المطلق، ويرفض بذلك مبدأين متناقضين». كذلك نلاحظ آثار المعتقد بتعدد الآلهة في سفر التكوين التوراتي. يقول «أوتلي» بحق (ص ١٠) في تفسيره لسفر التكوين (١ : ٢٦): «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (إن استعمال صيغة الجمع للتعبير عن لفظ الجلالة معروف في اللغة العبرية، غير أنه هنا قليل الاحتمال؛ راجع سفر التكوين (٣ : ٢٢) حيث يقول يهوى: «وقال الرب هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا»): «وكذلك لا تنسجم صيغة الجمع في مخاطبة الذات قبل خلق الإنسان مع مذهب التوحيد المطلق المسيطر في العصور المتأخرة، ولا تتناسب مع صورة الله الذي خلق الإنسان على غرارها ومع روحانية الله البارزة. ويظهر هذا التنافر عندما نستغني عن كل تفنن في الاجتهاد ونبقي الألفاظ على معناها البسيط، مع أن مؤلف التوراة قد وضع فيها معاني أرفع تتناسب مع مستواه الديني».

---

(١) المقصود بالمادة الأولية هنا، المياه البدئية التي كان روح الله يرف فوقها كما ورد في سفر التكوين (١ : ٢) والمقصود بالحالة الفوضوية أعلاه هو حالة تلك المياه البدئية قبل خلق الكون وتنظيمه ـ المحرر ـ

وبالفعل يشكل سفر التكوين (١ : ٢٦) وإشعياء (٤٦ : ٥) ضدين لا يلتقيان أبـداً. ويظهـرِ مذهب تعدد الآلهة واضحاً بشكل خاص في التمييز بين الآلهة الذكور والإلهات في سفر التكوين (١ : ٢٧) إذا ما قرأنا أقسام الآية الثلاثة متصلاً بعضها مع البعض: «فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم». ولكن هذا الرأي ليس مؤكداً.

تعليق على الصفحة٤٠ : ـ يؤيد «أوتلي» (ص ١١) مقتفياً إثر «عونكل» (Gunkel) (سفر التكوين والفوضى، ص ٢٩ ـ ١١٤) قولي الـوارد على الصفحـة ٤٠ برأيه التـالي: «تحتوي كتب أنبياء العهد القديم وشعرائه على دلالات كافية وواضحة جداً، إلى أن أسـطورة التكـوين البـابلية كانت لاتـزال حية بألـوان زاهية في وعي الشعب الإسـرائيلي»؛ ثم يتـابـع: «وبـالفعـل هناك مواضع عديدة تستشف المعنى الميثـولـوجي الأصلي الـذي يكمن في الغيلان مثـل تعـامة ولوياثان وتنين ورهب، بكل وضوح». ويشيـر «أوتلي» إلى سفر أيوب (٩ : ١٣) وإشعياء (٥١ : ٩). والحق أن إشعيا عندما يتابع في (٥١ : ١٠) بالكلمـات التالية: «ألستِ أنتِ هي المنشّفة البحر مياه الغمر العظيم الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين». يجمع بين تلك الذكريات والخروج من مصر حيث قام يهوى ببطولته الثانية متغلباً على مياه تعامة. ومن يتذكر عمل يهوى الجليل محققاً عبور بني إسرائيل البحر ووصف هذا الحدث في المزامير (١٠٦ : ٩ ـ ١١ و٧٨ : ١٣) لا يمكنه إلّا أن يربط بين القول: «أنت شققت البحر بقوتك. كسرت

رؤوس التنانين على المياه. أنت رضضت رؤوس لوياثان» (المزامير ٧٤: ١٣ و ١٤) والعصور القديمة. وكذلك في أيوب (٣: ٨) حيث يمثل لوياثان المياه الأولى المشخصة وعدو النور اللدود. وإذا كان «كونيغ» نفسه يوافق (ص ٢٧) ـ ولو مرغماً ـ على أن في سفر أيوب (٩: ١٣) (الله لا يرد غضبه. ينحني تحته أعوان رهب») وأيوب (٢٦ : ١٢) («بقوته يزعج البحر وبفهمه يسحق رهب») تلميحاً إلى التغلب على المياه الأولى، فإن «ينزن» سوف يجد نفسه وحيداً برأيه (المصدر السابق الذكر، العمود ٤٩٠) القائل: «لا أرى أي داع إلى الربط بين وصف التوراة لصراع يهوى التنانين والمخلوقات الشبيهة بالتماسيح وأسطورة صراع تعامة البابلية مثلما فعل ذلك «ديليتش» وعدد كبير من علماء الآثار الآشورية». (أضيف إليهم «غونكل» ومعظم رجال الدين اليهود).

تعليق على الصفحة ٤١، السطر ٣ وما يليه: ـ يؤكد «أوتلي» مثل غيره أنه «لا يصح ولا يعقل أن نطالب الباحثين والعلوم الطبيعية بالالتزام بتصورات الكتاب المقدس، لاسيما وأن هناك تناقضاً كبيراً بين سفر التكوين الأول والثاني ومواضع كثيرة من العهد القديم. لذلك يجب أن نعطي للعلم ما للعلم ودون قيد ولا شرط». ولكننا لا نستطيع أن نؤيده التأييد نفسه حين يقول: «ولكن كذلك يجب أن نعطي لله ما لله: إن العالم خَلْقُ الله وإرادته المطلقة، وهو ناموسه الأزلي ـ هذا ما تقول به الصفحة الأولى لسفر التكوين». إنه الدين الذي يطالبنا بالإيمان بأن الله هو خالق السموات والأرض، وهناك مواضع كثيرة في

العهد القديم تنص على ذلك، ولكن الصفحة الأولى بالذات حيث نقرأ:(«في البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية...»، سفر التكوين ١: ١) لا تفيد هذا المعنى ولا تجيب على السؤال عن مصدر الفوضى[1]. وعلاوة على ذلك كان البابليون هم أيضاً يرون أن السماء والأرض من خلق الآلهة وأن حياة جميع المخلوقات في أيديهم.

تعليق على الصورتين رقم ٣٧ (الإله مردوخ) ورقم ٣٨ (صراع مع التنين) ص ٤٠: يلاحظ «ينزن» (المصدر السابق الذكر، العمود ٤٨٩) بخصوص تعامة: «يسمي بيروسوس هذا المخلوق إمرأة وهي أم الآلهة التي لها زوج وعاشق، ولا نجد في الأدب البابلي ـ الآشوري أي دليل على أنهم رأوا في هذا المخلوق غير إمرأة خالصة». إن هذا الادعاء أكبر خطأ ولست الوحيد الذي يعارضه وإنما عدد كبير من علماء الآثار الآشورية يشاركون موقفي معتمدين على حقيقة معينة ومسلّم بها. أو لم تعد تصح الحقيقة أن الأنثى البشرية تلد أطفالاً بشريين واللبّوة تلد أشبالاً وأما المخلوقة التي تلد «سرماحة» sirma - hhê أي حيات عملاقة (راجع ملحمة التكوين III 24) فإنما هي نفسها حية ضخمة أو غول يشبه الحية؟ أو لم تمثل تعامة حية ضخمة في الفن البابلي (راجع ترجمة «شين» cheyne الإنكليزية لسفر إشعيا في الكتاب المقدس لـ «هاوبت» Haupt ص ٢٠٦)؟ أما على العموم فأنا أيضاً لا أرى إطلاقاً في المشهد المصور على الشكل رقم ٣٨

---

(١) أي المياه الأولى التي كانت موجودة قبل التكوين ـ المحرر ـ.

صورة طبق الأصل لصراع مردوخ مع التنين كما جاء وصفه في ملحمة التكوين البابلية، وتحدثت بحذر شديد وبكل وضوح عن صراع بين «قوة النور وقوة الظلام» بصورة عامة. ونستطيع أن نتصور أن في تصوير مثل هذا الصراع ولاسيما في تصوير الغول تعامة مجالاً واسعاً للخيال، ومن الممكن تصوير التنين بأشكال متنوعة جداً: فيمكن تصويره كما في الشكل رقم ٣٨، وبالطريقة التي نقش بها على حجر من آثار بابل التي سنعرضها فيما بعد، أو يمكن تصويره في هيئة «سيروشو» (sirruššû) أو («موشروشو» (mušruššû) الذي ظهر في الملحمة على أنه أحد أعوان تعامة فقط ولكن حسب المعلومات في (II R 19, 17 b) قد يمثل تعامة نفسها، والفن البابلي يشهد على ذلك. أما الحيوان الموضوع تحت رجلي مردوخ (الشكل رقم ٣٧)، والذي سميته في النص تعامة التنين، فقد أكدت الحفريات الألمانية هويته: عثر على نقوش نافرة لـ «سيروشو» على بوابة عشتار في بابل، ومما لا شك فيه أن هذه الصور متطابقة مع صورة الحيوان على (الشكل رقم ٣٧). ومن يقارن هذه المعلومات مع ما كتبه «تسيمرن» في «النصوص المسمارية والعهد القديم»، شرادر، الطبعة الثانية، النصف الثاني، (ص ٥٠٢) وما يليها سوف يصل إلى الرأي القاطع بأن حملة الهجوم التي شنها «ينزن» على «بابل والكتاب المقدس» في مجلة «العالم المسيحي»، العمود ٤٨٩ وما يليه تفتقر إلى كل أساس.

تعليق على الصفحة ٤٢: ـ لم أقصد بقولي إن المبادىء الأولى التي تمليها علينا غريزة حب البقاء والأخلاق، مثل حب الآخرين، أن

منشأها بابل (كما ورد في النص الذي نشرته صحيفة برلين اليومية وفي عدد من الصحف الأخرى). عندما يسأل كاهن بابلي - IV R 51, 50) 53a) «هل اقتحم بيت جاره؟ وهل اقترب من زوجة جاره؟ هل قتل إنساناً؟ هل سرق»؟ أستنتج من ذلك فقط ـ وعبرت عن هذه الفكرة بوضوح على الصفحة ٢٦ ـ أن مثل هذه المحرمات محفورة في «كل قلب إنساني». ولذلك يخطيء «ب. كايل» (المصدر السابق الذكر، ص ٣ وما يليها) جداً حين يقول: «وحتى المبادىء الأخلاقية ومفهوم الذنب... منشؤها بابل. لم يقل «ديليتش» ذلك بهذا الوضوح ولكن طريقة عرضه للفكرة تدل على أنه يفترض علاقات غير علاقات المجاورة بين بابل والكتاب المقدس».

تعليق على الصفحة ٤٣، الخطيئة الأولى: ـ من يقرأ قولي على الصفحة ٢٦ بشكل موضوعي سوف يؤكد أن هدفي الوحيد من المقارنة بين النقش الموجود على الختم المصور على الصفحة ٤٣ (الشكل رقم ٣٩) وبين رواية الخطيئة الأولى في سفر التكوين ٣ هو إبراز اشتراكها في الحية التي تغري المرأة. والحقيقة أن ارتداء الشخصين لباسهما منعني عن التسوية بين هذه الشجرة و «شجرة معرفة الخير والشر». يظهر بالآحرى ـ على الأقل بالنسبة لي ـ أن رواية سفر التكوين ١، ٢ التوراتية تعتمد على رواية من شكل آخر وأقدم لم تعرف سوى شجرة واحدة في وسط الجنة وهي شجرة الحياة. ولاحظ في سفر التكوين (٢ : ٩) أن الكلمات «وشجرة معرفة الخير والشر» تبدو كأنها ملحقة وأن شجرة معرفة الخير والشر تنسي الراوي شجرة الحياة (راجع

سفر التكوين ٣ : ٣) لدرجة أنه سها فجعل الله يسمح للإنسان أن يأكل من شجرة الحياة (سفر التكوين ٢ : ١٦). (خلافاً لسفر التكوين ٣ : ٢٢). أوافق «ث. ب. تيله» (C. P. Tiele) على ما يخص الشجرة الموجودة على الصورة البابلية (هذه الشجرة فقط دون غيرها) التي يرى «تيله» عليها «إلهاً مع أحد عباده ذكراً أو أنثى وهما يأكلان ثمار شجرة الحياة»، وتمثل هذه الصورة برأي تيله «الأمل في الحياة الخالدة»، ويؤيده «هومل» الذي يقول (ص ٢٣): «إن الأهمية الكبرى أن الشجرة الأصلية كانت شجرة ذات أوراق إبرية مثل شجرة صنوبرية أو شجرة الأرز بثمارهما المنشطة ولاسيما للقدرة على الإنجاب؛ وهذه الظاهرة وحدها تثير بما لا يحتمل الشك إلى شجرة الأرز المقدسة في مدينة أريدو وهي تمثل شجرة الجنة المعروفة في الأسطورة الكلدانية ـ البابلية». وحتى «ينزن» (العمود ٤٨٨) يقطع برأيه: «إذا كانت هناك علاقة بين هذه الصورة وبين رواية الخطيئة الأولى، فإننا على الأرجح أمام مشهد إله يمنع إمرأة من أكل ثمار شجرة الحياة».
إني أرى في تزيين أحد الشخصين بالقرنين اللذين كانا رمزاً للقوة والانتصار في بابل وإسرائيل على السواء فكرة عظيمة جاء بها الفنان للتمييز بين جنس الشخصين المرتديين لباسهما. وأما من يرى في الحية الواقفة خلف المرأة «خطاً متلوّياً» أو خطاً فاصلاً ذا وظيفة تزيينية («هولتسينغر» (Holzinger) و«كونيغ» فله رأيه، غير أنه لن يجد الكثير من الأنصار. وعلى خلاف ذلك هناك الكثيرون الذين (راجع هومل ص ٢٣) يشاركون رأيي بأن هناك «حية واقفة أو زاحفة خلف المرأة».

أما عن طبيعة هذه الحية فلا نستطيع أن نقول شيئاً محدداً ما دمنا نعتمد على هذه الصورة الوحيدة. وأول ما يخطر بالبال هو صورة تعامة، افتراضاً أنها كانت ـ مثل لوياثان في أيوب (٣: ٨) و«الحية القديمة» في رؤيا يوحنا (١٢ : ٩) ـ مازالت موجودة؛ ولكن هذا الافتراض يحتاج إلى التثبيت، ولذلك أشرت إلى (II R51, 44a) حيث ورد ذكر قناة باسم «الإله الثعباني المدمر مسكن الحياة» المستمد ربما من أسطورة مجهولة حتى الآن. تعارض هذه النقطة الأخيرة في الوقت نفسه ـ كما يبدو لي ـ رأي «ينزن» القائل بأن الشخصين يمثلان إلهين يسكنان بالقرب من شجرة الحياة التي تكون الحية حارسها. علاوة على ذلك يميل «تسيمرن» («النصوص المسمارية والعهد القديم»، الطبعة الثالثة، النصف الثاني، ص ٥٠٤ وما يليها) إلى الفكرة القائلة بأنه «في آخر المطاف هناك تطابقاً بين الإله الثعباني وغول المياه الأولى». ـ بهذه المناسبة لا بد من الإشارة إلى «النصوص الأكادية والسومرية المسمارية لـ «هاوبت»، ص ١٩٩، النص د. ت. ٦٧» الذي يجدر بنا مرعاته في تفسير رواية الخطيئة الأولى التوراتية. نقرأ في هذا النص باللغتين عن خادمة «أم الخطيئة» التي اقترفت إثماً وعوقبت لذلك عقاباً شديداً وانفجرت إلى بكاء مرير ـ «تعلمت المضاجعة، تعلمت التقبيل» ـ ونجدها تتمرغ في التراب مصابة بنظرات الإله القاتلة.

تعليق على الصفحة ٤٥، السطر ٧ وما يليه: ـ إن النص التالي من سفر أيوب (٢٤ : ١٨) مترجم ومفسر بأسلوب لغوي سليم في

بحثي الذي يتناول «سفر أيوب»، لايبزيغ ١٩٠٢. «ملعون نصيبهم في الأرض. لا يتوجه إلى طريق الكروم. القحط والقيظ يذهبان بمياه الثلج. تنساه الرحم يستحليه الدود. لا يُذكر بعد... الخ» (أيوب ٢٤: ١٨ - ٢٠). وعلى هذا الوجه السليم يشكل النص جسراً ملائماً إلى تصورات العهد الجديد عن الجحيم الملتهب الخالي من الماء تتعذب فيه الأرواح، وعن الجنة التي لا يمكن أن يتصورها الإنسان الشرقي دون الماء الذي يجري فيها بغزارة. وحين يلاحظ «كورنيل» (المصدر السابق الذكر، العمود ١٦٨٣): «أظن أنني أيضاً أعرف سفر أيوب معرفة لا بأس بها، ولكن في أيوب (٢٤: ١٨) لا توجد كلمة واحدة عن ذلك كله» يغمرني شعور بالسعادة أننا لم نعد بحاجة إلى فقهاء العهد القديم لفهم هذا الكتاب لغوياً.

تعليق على الصفحة ٤٥، السطر ١٠ وما يليه: - إن معنى الآية الأخيرة لسفر إشعيا (٦٦: ٢٤): «ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا عليّ لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذالة لكل ذي جسد»، أن الذين دفنوا في التراب تأكلهم الديدان إلى الأبد والذين أحرقت جثثهم يتعذبون في النار إلى الأبد. إن لهذا الموضع أهمية كبيرة من ناحيتين: يعلمنا أولاً أن إحراق الجثث كان يستوي مع الدفن في التراب في العهد القديم، وأن العهد القديم لم يمانع في إحراق الجثث البتة؛ وثانياً أن الكلمة «حيث دودهم لا يموت» التي جاءت في وصف جهنم في إنجيل مرقس (٩: ٤٤، ٤٦، ٤٨) ليست في محلها - إنها لا تناسب.

تعليق على الصفحة ٤٧، السطر ١٠ وما يليه، الملائكة:
- يؤيد «كورنيل» (المصدر السابق الذكر، العمود ١٦٨٢) الرأي القائل بأن «تصور الملائكة تصور بابلي خالص». ولدى قولي عن الملائكة الحارسين الذين يرافقون الإنسان (راجع المزامير ٩١: ١١ ما يليه ومتى ١٨: ١٠) كنت أفكر في مواضع كما في رسالة المواساة التي أرسلها «أبلا» (Aplâ) إلى ملكة عيلام (K 523) حيث نقرأ: «يا أم الملك، سيّدتي، اطمئني، إن كِروب بيل ونبو يحرس ملك البلاد، سيّدي»، أو كما في الرسالة الموجهة إلى «أشارحدون» (Ash-arhaddon) (K948): ليأمر الآلهة حارساً للسلام والحياة فيقف إلى جانب الملك، سيدّي»، أو كما في كلمة «نبوبولاصر» (Nabopolassar) مؤسس المملكة الكلدانية: «جعلني مردوخ ملكاً على البلاد والناس، وجعل كِروباً يقف إلى جانبي حارساً على توفيقي في كل أعمالي». (راجع أخبار معهد المشرق الألماني، العدد ١٠، ص ١٤ وما يليها).

تعليق على الصفحة ٤٨، الشيطان: - خلافاً لـ «الحية القديمة المدعورة إبليس والشيطان» (راجع ص ٤١، السطر ٧) التي لم يزل فيها التصور البابلي لتعامة عدوة الآلهة اللدودة، حياً، فإن الشيطان الذي يظهر عدة مرّات في أسفار التوراة المتأخرة كعدو للإنسان لا كعدو لله (راجع أيوب ١ و٢ وأخبار الأيام الأولى ٢١: ١ وزكريا ٣: ١ وما يليه)، يعود إلى المعتقد البابلي بوجود الجنّ أي بوجود «إيلولمنو» (ilu limnu) أو «قالو» (gallû) بمعنى الشيطان.

تعليق على الصفحة ٥٠، السطر ٢ وما يليه: - حيث جاء قولي

«وصول العصور القديمة بهذه الصورة الواضحة إلى وقتنا الحاضر» :
في هذا المقام أشير إلى المقال المثير بقلم «غ. هيلمان» G. Hellmann «حول أصل خرافة العاصفة الرعدية» الذي نشر في مجلة «علم الظواهر الجوية»، حزيران ١٨٩٦، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨ حيث أثبت أن خرافة العاصفة الرعدية البابلية مازالت حية في كتاب شعبي مشهور عنوانه «سيبيل المتنبئة» (Sybillae Pro phetia) وبالتحديد في الباب المعنون (Tordoens maerketecken) الذي يعني التنبؤات عن الجو والخصوبة لمدة سنة كاملة من خلال حدوث العواصف الرعدية في بعض الأشهر.

تعليق على الصفحتين ٥١ و٥٢، الكنعانيون : ـ استعملت تسمية الكنعانيين وفقاً للتحديد اللغوي لها (راجع «النحو العبري» لـ «كاوتش» (Kautseh) الطبعة ٢٧، ص ٢) وقد استبدلت بها تسمية «الساميين الشماليين» في الطبعة الثانية لمحاضرتي لأن التسمية الأولى لم تكن واضحة بالنسبة للكثيرين. لا ينتمي ملوك الأسرة البابلية الأولى، «سموآبي» (Sumu - Abi وخلفاؤه، إلى جماعة الساميين الأوائل الذين هاجروا إلى بابل واندمجوا بالسومريين، وإنما ينتمون إلى قبيلة سامية قامت بالهجرة في وقت متأخر. ويشهد العلماء البابليون أنفسهم على ذلك إذ اعتبروا اسمي الملكين «حمورابي» (Hammurabi) أو «عمورابي» (Ammurabi) و «عميصادوقا» -Ammis adûga) اسمين أجنبيين يحتاجان إلى شرح، فترجموا الاسم الأول بـ «كيمتا ـ رباشتوم» (Kimta - rapaštum أي «الأسرة الكبيرة»

(راجع - الشعب الكبير) والثاني بـ «كيمتوم - كيتوم» - Kimtum)
Kêttum) أي «الأسرة العادلة» (راجع .V R44, 21, 22 a. b) ونفهم من كتابة حرف h (ح) في الاسم حمورابي بدلاً من حرف z (ع) (في = الشعب، الأسرة) أن هؤلاء الساميين الجدد كانوا ومازالوا ينطقون بحرف العين بخلاف الساميين المستقرين في بابل منذ قرون. وأول من بيّن التفاوت بين القبائل السامية هما «هومل» و «فينكلر (Winekler) ويشهد على صحة قولهما نطق المتأخرين بـ «س» (S) كما في «سمس إيلونا» (Sa - am - su - ilûna) أو «سموآبي» (Sumu - Abi) بدلاً من النطق البابلي القديم «شمش» (Samsu) وكذلك في صيغة الماضي القديمة للغائب «يا» (ia) وليست «ي» (i) التي نجدها في أسماء الأشخاص في ذلك العصر، مثل «ياملِك - إيلو» (Iamlik - ilu) و «ياربي - إيلو» (Iarbi - ilu) و «ياكباني - إيلو» (Iak - bani - ilu) وغيرها. وتبقى هذه الحقيقة على الرغم من احتجاج «ينزن» (المصدر السابق الذكر، العمود ٤٩١).

يظهر من الدراسات اللغوية والتاريخية أن هؤلاء الساميين الجدد كانوا ينتمون إلى الساميين الشماليين أو، نظراً إلى القرابة اللغوية، إلى الشعوب المسماة بـ «الكنعانيين» (منهم الفينيقيون والموآبيون والعبريون وغيرهم). إن الفضل في اكتشاف هذه العلاقة وأمور أخرى كثيرة يعود إلى «هوغو فينكلر» (Hugo Winckler). لا يكفي الـ (نا) في «إيلونا» (ilûna) بمعنى «إلهنا» للبرهان على الانتماء إلى القبائل العربية، إذ أنه نظراً إلى الأسماء مثل «عميصادوقا» (Ammizadûga)

و «عميديتانا» (Ammiditana) قد يكون «إيلونا» صفة (راجع دراسات «مـايسنر» (Meissner) للقانون المدني البابلي رقم ٤، اسم شخص «إيلونا» وراجع אֵלוֹן). أما الصفة «صادوق» (Zadûg) أي صادق فمن المـرجـح أنهـا من لهجـة كنعانية من الناحيتين، الناحية المعجمية (من צָדַק راجع الفعل «صادوق» بمعنى صدق في رسائل تل العمارة) ومن النـاحية الصـوتية (تلوين الأصـوات â (û, ô راجـع رسـائل تل العمارنة: «أنوكي» (anûki) = «أنا» وغيره؛ وكذلك أسماء الأشخاص من ذلـك العصر مثل «يا ـ شـوب ـ إيلو» (la - šú - ub - ilu) (راجع «بعل ـ يا ـ شوبو» (Ba - a - al - ia - šú - bu) باللغة الفينيقية (VR2, 84) . نتساءل إذا ما كان «ينزن» قادراً على تفسير واضح لأسماء مثل «يا ـ شوب ـ إيلو» (lašûb - ilu) من اللغة البابلية».(راجع العمود ٤٩١)؟

تعليق على الصفحة ٥١ وما يليها، «إيل» (il) אֵל **الله**: إن كل حروف الجر في اللغات السامية أسماء في الأصل. ومازال في اللغـة العبـرية حرف الجر אֶל־ il الذي يعني «نحو» و «تجاه» على حسب المعلومات الحديثة ينطوي على المعنى الأصلي «الالتفات» و «الجهـة» وذلـك في العبـارة הֲרֵי אֵלֶיךָ أي «تحت تصـرفـك، بيدك». **واستعمل** אֵלֶיךָ الاستعمـال نفسه **مثل** לִפְנֵי **في** לְפָנֶיךָ «تحت تصرفك» في سفر التكوين (١٣ : ٩) وكما في حالات كثيرة العبارة الآشورية «إينا باني» (ina pâni) أي «تحت تصرف فلان». وكثيراً ما يحل אֶל־ محل לִפְנֵי والعكس على أنها مترادفان (راجع المزامير ٨٤ : ٨ و٤٢ : ٣). إن الـرأي القـائل بأن אֵל في ذلك التعبير يعني «السلطة» قد

يكـون خطأً قديمـاً مثـل ألـوف الأخطاء التي حصلت في المعاجم العبـرية، ومهمـا كان من أمـر فإن هذه المسـألة لاتزال بحاجة إلى الإثبات، ولذلك يخطىء «كونيغ» (ص ٣٨) عندما يدعي أن «معنى **أيـل** (el) هو السلطة والقوة على الأرجح». أما المعنى المؤكد الوحيد فهو «الالتفات والجهة» بحيث تعبر بذاتها عن المعنى: «نقطة الهدف والهـدف (**راجع** מוֹרָא ـ الخـوف ومـوضوع الخوف، و[illegible] ـ الرغبة ومـوضـوع الرغبة وغيرهما). وكما كان السومريون يتصورون آلهتهم ساكنين في العلى إلى حيث تتوجه عين الإنسان: أي في السماء وفوقها (**لـذلك** [illegible] ـ السماء والله) وكما أننا نحن أيضاً نقول «السماء» كناية عن الله (راجع دانيال ٤ : ٢٣) وكما يسمى في مزمار بابلي إله الشمس «ديقيل إيرسيتيم» (digil irsitim rapaštim) «نقـطة الهـدف للأرض الواسعة» أي الهدف الذي تتوجه إليه عيون سكان الأرض، وكما يشيد أخيراً إلى جانب مواضـع كثيرة في الأدب السـامي شاعر سفر أيوب (٢٦ : ٢٥) بالله بأن «كل إنسان يبصره... الناس ينظرونه من بعيد» كذلك كان الساميون القدامى يسمون الكائن الذي تصوروه ساكناً في السمـاء وبيده مصير السمـاء والأرض «إيل» (il, el) الذي تتوجه إليه عيونهم (راجع **استعمال** אֵל للتعبير عن الله والإلهي، هوشع ١١ : ٧).

وفي رأيي أن المعنى الأول والأصلي للكلمة هو «نقطة الهدف للعين» مثـل الشمس والسماء، ولذلك يخطىء «أوتلي» عندما يفهم أنني شرحت «إيل» (el) بمعنى «هدف شوق القلب الإنساني» على

أساس تجريد فلسفي ضعيف . ولكن من الطبيعي أن الإنسان الذي كان يبحث عن الكائن الإلهي في العلى ما لبث أن شغل في هذا السبيل يديه وقلبه (راجع «تريني» Threni ٣، ٤١). يؤكد كل هذا أن معنى «إيل» (il) هو «الجهة والهدف» وأن تسمية الله بهذه الكلمة تتفق مع طريقة التفكير السامي، ولذلك من الخطأ أن نفترض مصدر «إيل» ثان وجوباً، وبالتالي ما قلته عن اسم الجلالة «إيل» في محاضرتي صحيحاً في كل النقاط. وعلاوة على ذلك لا جدوى في البحث عن فعل لمثل هذا المصدر (كونيغ ص ٣٨ وما يليها) مثلما لا نستطيع أن نبحث عن فعل لتلك المصادر القديمة المؤلفة من حرفين صامتين مثل «ييم» (jĭm) أي «يوم» و «موت» (mŭt) أي «الرجل». أما بقية أقوال «كونيغ» (ص ٣٨ وما يليها) فليست جديرة بالنقض. يتبين من الأدلة التي قدمتها لإثبات معنى «إيل» = الهدف أنني لم أعتمد في ذلك على «دو لاغارد» (de lagarde) على الرغم مما نقلته عنه، والحقيقة أنني لم أقرأ بحثه بعد. لذلك لا يمس ما كتبه «ينزن»، (العمود ٤٩٣ وما يليه) في نقده لـ «دراسة الألفاظ» التي قام بها «دو لاغارد»، طريقتي في عرض الأدلة في شيء.

وعلى العموم ليس البحث عن أصل كلمة «إيل» (el, il) ذا أهمية كبرى، وإنما الأهم من ذلك هو أن تلك القبائل السامية الشمالية، التي نجدها حوالي ٢٥٠٠ق.م. مستقرة في منطقة بابل شمالاً وجنوباً والتي كان الملك حمورابي (٢٢٥٠ق.م)[1] أكبر حكامها، تصورت

(١) هذا التاريخ تم تعديله حديثاً ـ المحرر ـ.

وعبدت الله كائناً روحانياً واحداً. وتلك القبائل هي القبائل السامية الشمالية التي هاجرت إلي بابل واستقرت فيها في وقت متأخر، وليس سكان بابل السومريين ـ الساميين. وإذا قالت بعض الصحف بأنني أرى أنه «حتى مفهوم الله عند اليهود عائد إلى تصورات بابل الدينية» أو إذا قال «أوتلي» (ص ٤) أنني أرى أن «اسم يهوى نفسه وعبادته على أساس مذهب توحيد متطور بعض الشيء ملك فكري بابلي» فإن ذلك غير صحيح. وكذلك يتوقف سؤال «كوينغ» (ص ٣٧): «هل يعْود مذهب التوحيد التوراتي إلى بابل»؟ على سوء فهم قولي (في الطبعة الأولى، ص ٤٦، السطر ١١ وما يليه و ص ٤٧، السطر ١٢ ـ ١٨) على الرغم من الوضوح الذي يتصف به.

فيما يخص أسماء الأشخاص المركبة مع «إيل» التي كانت مألوفة زمن الأسرة البابلية الحاكمة الأولى يرتكب «كوينغ» (ص ٤٠ و ٤٢) خطأً كبيراً بادّعائه أنه في مجتمع يؤمن بتعدد الآلهة يجب أن تترجم هذه الأسماء مثل عطاء الله، إلى «عطاء إله من الآلهة». ومثله يسأل «أوتلي» (ص ٢٣): «ومن الذي يعرف بالتأكيد أن ترجمة هذه الأسماء لا تصح إلّا انطلاقاً من أرضية المعتقد بتعدد الآلهة مثل «عطاء اله من الآلهة و «إله من الآلهة معي»؟ «بغض النظر عن أسباب أخرى يتبين خطأ هذا التفسير عند أسماء مثل «إيلو ـ أمرني» (ilu - amranni) أي «الله انظر إليّ»! و «إيلو ـ تورم» (ilu - tûram) أي «الله عد إليّ»! وغيرهما. وهل يتغير أيضاً «باب ـ إيلو» (bab - ilu) أي «باب الله» إلى «بـاب إلـه من الآلهـة»؟ كلا! سيظل عصر حمورابي يحتفظ بتلك

الأسماء الجميلة والهامة بالنسبة لتاريخ الدين ومنها «إيلو ـ إتيا» (ilu - ittia) = الله معي و «إيلو ـ أمتحـر» (Ilu - amtahar) = دعوت إلى الله و «إيلو ـ أبي ، إيلو ـ ملكي (ilu - abi, ilu - milki) = الله أبي أو ناصحي و «ياربي ـ إيلو» (iarbi - ilu) = الله كبير و «ياملك ـ إيلو» (iamlik - ilu) = الله الحاكم و«إبشي ـ إينا ـ إيلي» (ibši - ina - ili) = بالله دخل إلى الوجود و «أفيل ـ إيلو» (Avêl - ilu) = عبد الله و «موت ـ (وم) ـ إيلو» (Mut (um) - ilu) = رجل الله (Methuscha' el) و «إيلوما ـ لي ، ي (Ilûma - le' i) = الله عظيم و «إيلوما ـ أبي (ilûma - abi) = الله أبي و «إيلوما ـ إيلو» (ilûma - ilu) = الله هو الله و«شوما ـ إيلو ـ لا ـ إيليا» (Šumma - ilu - lâ - ilia) = لو لم يكن الله إلهي ، وغيرها . وفي طبيعة الحال يجب أن ننظر إلى هذه الأسماء في مجموعها . ويمكن اعتبار «الله» في بعض الأسماء نوعاً من الاستشهاد فقط (قارن ببعض الأسماء الآشورية مثل «نا، يد ـ إيلو» (Na' id - ilu) كما هو الشأن في العبارة الواردة في شريعة حمورابي «محار إيلي» (mahar ili) = شهد أمام الله ، أو في العبارة المتكررة مائة مرّة في العقود البابلية بمعنى «أقسم بالله والملك» (راجع صموئيل الأول (١٢ : ٣ و ٥) : «شاهد الرب عليكم وشاهد مسيحه . . .») . ولكن حين ننظر إلى تلك الأسماء مجتمعة يبدو لي أنه غير ممكن أن تقودنا لفظة «إيلو» (ilu) إلى التفكير بالإله الخاص بالمدينة أو الأسرة (راجع «ب . كايل» ، ص ٦١) أو بإله حارس خاص بفلان (راجع «تسيمرن» KAT3 النصف الثاني ، ص ٣٥٤) ، لأن شعباً لا يتمتع بثقافة فلسفية يسعى دائماً إلى تعبير واضح ومحدد (راجع

«ب. كايل»، ص ٥٩) فمن المتوقع أن يحدد اسم الإله أو أن يضاف إلى اسم الأسرة أو المولود الضمير المناسب في حالة إله حارس خاص مثل «إلهي» أو «إلهه». وتؤدي النظرة الموضوعية البعيدة عن الخيال إلى هذه الأسماء وغيرها التي تعود إلى عصر حمورابي دائماً، إلى أن جذور الفكرة تعود إلى معتقد ديني كان يختلف عن معتقد تعدد الآلهة البابلي. لا نستطيع تحديد طبيعة مذهب التوحيد هذا أو نقيمه على أساس المصادر التي بين أيدينا إلّا من خلال تطور دين يهوى المتأخر.

تعليق على الصفحة ٥٣، يهوى: ـ أصر على أن القراءة الوحيدة للاسمين «يا ـ أ ـ في ـ إيلو» (Bu, 91, 5 - 9, 314) (Ia - a - ve - ilu) - ملاحظة (3)، راجع النصوص المسمارية (VIII 20) و «يا ـ في ـ إيلو» (Bu, 91, 5 - 9, 544) (ia - ve - ilu) السطر (4)، راجع النصوص المسمارية (VIII 34) هي «يا، في» (ia; ve). كشفت محاربة قراءتي ـ السليمة مائة بالمائة طبقاً لمعلوماتنا الحالية ـ عن جهل مؤسف من جهة النقاد. وقد تعود إلى السبب نفسه بعض التهمات التي وجهت إليّ مثلما تجرّأ الأستاذ «كيتل» على أن يسمي قراءتي «مناورة مغرضة». توجيهاً لهذه الاتهامات النابعة عن الجهل أريد أن أقدم لنقادي الفقهاء ولبعض علماء الآثار الآشورية الذين يقفون إلى جانبهم الدراسة الموجزة التالية. وفقاً للنصوص الآشورية، الطبعة الرابعة، ص ٢٧، الرقم ٢٢٣ تكون للإشارة [illegible] القيم المقطعية التالية: «بي؛ تال؛ تو؛ تام» (pi, tál, tu, tam) وفي اللغة البابلية خاصة «مي / في؛ ما/ فا؛ أ؛ (فو)» (me/ ve/, mà/ và, à (vu)) أو بشكل أفضل «في؛ فا؛ أ؛

(فو» ((ve, và, à, (vu)) وكل من يعرف إلى حد ما طريقة الكتابة في عصر حمورابي يعلم أولاً أن المقطع «ما» (mà) حتى ولو سلمنا بالقراءة «يا ـ و ـ ما» (ia - u - mà) لا يمكن أن يفهم أن «ما» هذه (mà) هي الأداة البارزة، (كما أخطأ في هذه النقطة «كوينغ»، ص ٤٨ وما يليها، و«كيتل» وغيرهما)، لأن هذه الأداة تكتب بالإشارة العادية لـ «ما» (ma) 𒈠 لذلك لا يمكن في حالة من الحالات أن يكون معنى الاسمين المعنيين «يا، يا ؤ» Ja,Ja, u هو الله . أما من يعارض هذا الرأي فليأت بمثال واحد تكتب فيه الأداة «ما» (ma) البارزة بالإشارة 𒌝 ! ومن الجدير بالذكر أن الـ «م» في «يا ـ و ـ وم ـ إيلو» (ia - ú - um - ilu) للتنوين وليس «ما» (ma) المختصرة. وثانياً: أن القراءة «يا ـ أ ـ بي ـ إيلو» (ia - a - bi - ilu) التي يؤيدها «ث. بيزولد» (C. Bezold) في (ZA XVI ص ٤١٥ وما يليها) غير ممكنة، إذ أن في عصر حمورابي قد تستخدم الإشارة 𒁉 «بي» (bi) محل المقطع «بي» (Pi) ولكن لا تستخدم على العكس الإشارة 𒉿 محل المقطع «بي» (bi) ثالثاً: بعد شيء من التفكير يجب أن نرفض أيضاً القراءة «يا ـ (أ،) ـ بي ـ إيلو» (ia - (a) - pi - ilu) . قد نجد استخدام الإشارة 𒉿 «بي» (pi) أيضاً في عصر حمورابي: تتكرر مثلاً في العقود التي نشرها «مايسنر» (Meissner) في مقالته التي تتناول «القانون المدني في بابل» (مثلاً: «بي ـ إير ـ إشتار» (pi - ir - istar) و «بي ـ إير ـ حو» (pi - ir - hu) و «إيحبي» (ihippi) وكذلك في شريعة حمورابي (مثلاً: «أوبتي» (uptti) ولكن في أغلب الأحيان نجد الإشارة 𒁉

لـ «بي» (pi) كما في الرسائل التسع والسبعين التي نشرها «كينغ» (King) والتي تعود إلى العصر نفسه حيث لا نجد مرّة واحدة لـ «بي» (pi) الإشارة بل الإشارة بشكل مضطرد. (لا أرى من داع للتعليق هنا على الملاحظات المضطربة التي قال بها «س. دايخس» (S. Daiches) في (ZA XVI ، ص ٤٠٣ وما يليها). ونضيف إلى ما سبق أن فعلاً كنعانياً على شكل «يا، بي، يا - بي» (ia, pi, ia - pi) لا يمكن اشتقاقه إلّا من المصدر יפה أو ما يشبه ذلك، غير أنه لا يوجد مثل هذا المصدر. إن غاية ما نستطيعه هو أن نقرأ «يا (،) في - إيلو» (ia (,) ve - ilu) على شكل «يا - (، أ/ و) - فا/ و- إيلو» (ia - (, a/ u - và/ u - ilu) حيث «ف» حرف أصلي، وهي طريقة تنتهي بنا إلى الاعتراف بوجود اله יהוה (ياهو). لذلك تبقى قراءتي «يا - أ، - في - إيلو» (ia - a, - ve - ilu) و «يا - في - إيلو» (ia - ve - ilu) الأقرب إلى الصواب والوحيدة التي تدخل في الاعتبار جدياً.

أما بالنسبة لقراءة «يا (،) في - إيلو» (ia (,) ve - ilu) فإني أقل تأكيداً والحق أن الترجمة بـ «ليحمي الله» التي اقترحها «كونيغ» (ولِمَ لا «ليحمي إله»؟ وهي مشتقة من كلمة «حمى» العربية، وكذلك ترجمة «بارت» (ص ١٩) بـ «الله يمنح الحياة» (يا - أهـ - في إيلو ia - ah - ve - ilu) غير مصيبتين: كاسمين أجنبيين يجب أن يتحولا إلى «يهفي - إيلو» (iâhve - ilu) وليس إلى «يا، في - إيلو» (ia, ve - ilu) أو حتى «يافي - إيلو» (iâve - ilu) (راجع «را - حيم - إيلي» Ra - hi - im - ili) . وآخر ما يمكن افتراضه أن مثل هذين الاسمين الأجنبيين يتغير

نطقهمـا الـذي اقترب تدريجياً من النطق البابلي بحيث أصبحا غير واضحين بكل بساطة. إننا نستبعد هذه الفكرة وإذا كان «يا، في» (ia, ve (أو يافي (iave)) ينطوي على فعل فيكون الأقرب إلى الصواب أن نفكـر في فعل הוה, الشكل الأسبق لـ היה, (خروج ٣: ١٤) وترجمته بـ «يوجد الله» التي انتهى إليها «هومل» (ص ١١). (زاجع «تسمرن» في «الصحيفة الأدبية الدينية، ١٩٠٢، العدد ١٧، العمود ١٩٦).

ولكن أين يوجد في منـطقة الساميين الشماليين اسم شخص واحد مؤلف من (יהוה) היה, הוה إننا لا نجد شيئاً من هذا القبيل. إذاً فتكونَ ترجمتي «يا، في هو الله» (Ja, ve) الأقرب إلى الصواب.

ولكن هنا نصادف اسم رجل ثالث من ذلك العصر: يا ـ و ـ وم ـ إيلو» (ia - ú - um - ilu) (راجـع Bu. 88, 5 - 12, 329، النصـوص المسمارية IV 27). ومن المؤسف حقاً من وجهة نظر العلم أن «هومل» (المصدر السابق الذكر، ص ١١) يقدم للعالم اسمه «ياو ـ أي» (iaµ - Ai) بمعنى القمر كإله بابلي أو سامي قديم وه من بنات خياله لا وجود له في الواقع. وليأت «هومل» بشاهد واحد من الأدب البابلي برمته لإله اسمه «إيل يا» (il ia) أو «إيل يا ـ و، يا ـ ، و» (il ia - u, ia -, u) ولاسيما كاسم لإله القمر ـ إنه لن يستطيع ذلك. إن الاسم «يا ـ و ـ وم ـ إيلو» (ia - ú - um - ilu) اسم أجنبي ولا محال وينتمي إلى القبائل السامية الشمـالية (أو بالتحـديد: إلى الكنعانيين) التي تحدثت عنها بشكل مفصل على الصفحتين (٥٦ و ٥٧). غير أنه في هذه القبائل لا نـرى الهـاً «يا ـ و» (ia - u) غير الإله יָהוּ (ياهو (ia hû)، هذا الإله الذي

نجد لفظته في الأسماء مثل «يا ـ و ـ ها ـ زي» (ia - ú - ha - zi) = יְהוֹאָחָז و «يا ـ أ ـ هو ـ و ـ لا ـ كيم» (ia - a - hu - ú - la - ki - im) و «يا ـ هو ـ و ـ نا ـ تا ـ نو» (ia - hu - ú - na - ta - nu) (راجع نصوص مورشو (Mur-ašû) لـ «هيلبريخت» (Hilprecht) وغيرها. ولكن اسم الجلالة «ياهو» (ia - hû) هذا الذي نجده في أول أسماء الأشخاص وفي آخرها بشكل خاص ليس إلّا شكلاً مختصراً من لفظة «يهفي» (iahve) ومعناها «الكائن» (راجع «شتاده» (Stade)، كتاب تعليم النحو العبري، ص ١٦٥) ويشترط وجود الشكل الأكمل الذي هو «يهفي» (iahve).

وإذا كان اليهود في المنفى وبعد العودة من المنفى يعرفون الاسم «يهفي» (Jahve) قادرين على نطقه كما تؤكد ذلك الأسماء الكثيرة المألوفة في ذلك الوقت المتأخر، مثل «يا ـ شي ـ أ ـ فا» (ia - še - ia - a va) = יְשַׁעְיָה = إشعيا و«بي ـ لي ـ يا ـ أ ـ فا» (Pi - li- ia - a - va) = פְּלָיָה = فلايا وغيرها، فلا بدّ من معرفتهم به في تلك العصور القديمة التي لم يتصف اسم الجلالة «يهفي» بعد بهذه القداسة التي اكتسبها فيما بعد في إسرائيل. وهكذا يشترط الاسم «ياهوم ـ إيلو» (iahum - ilu) وجود اسم بهذا المعنى وبشكل أكمل مثل «يا، في ـ إيلو» (ia, ve - ilu) وطالما تأكدنا من وجود مثل هذا الاسم على أساس الشاهدين «يا، ـ في ـ إيلو» (ia, - ve - ilu) و «يا ـ في ـ إيلو» (ia - ve - ilu) فلِمَ لا نسلم ولاسيما أن إنكاره لا يمحي وجود اسم إله مماثل عند القبائل السامية (الكنعانية) وهو الاسم «ياهو ـ إيلو» (iahu - ilu) = ياهو هو الله الذي يتفق مع الاسم العبري יוֹאֵל (يوئيل (Joel) وهو سبق بألف سنة كلمة

النبي إيليا التي قالها على جبل الكزمل: «الرب هو الله» (الملوك الأول ١٨ : ٣٩)؟ أما عدم أخذنا بقراءة «بارت» (ص ١٩) «يا ـ هو ـ وم ـ إيلو» (ia - hu - um - ilu الشكل المختصر من «يا ـ أهـ ـ في ـ إيلو» ia) (ah - we - ilu - فليس بحاجة إلى التفسير، وحتى «ينزن» (المصدر السابق الذكر، العمود ٤٩١ وما يليه) يشك في أن هذين الشكلين ينطويان على اسم الجلالة «يهفيه ـ ياهو» (iahveh - iahu) ويضيف بحق: «من المرجح أن المقطع «يا، فو» (Ia, Wu) في هذا الاسم ليس من أصل آشوري ـ بابلي وإنما من أصل أجنبي، ولذلك نعتقد أن الاسم كله اسم كنعاني وبالتالي يكون المسمى به أو المسمون به «كنعانيين». ولكن عندما يتابع بقوله: «ولكن كما أن اسمي «موللر» (Mueller) و «شولزه» (Sehulze) لمجرد سماعهما في مدينة «باريس» لا يسمحان بالاستنتاج أن الشعب المقيم في باريس هو الشعب الألماني، كذلك لا يدل وجود اسم «يا، فو ـ إيلـ (و)» ((ia, wu - il (u)) في بابل قبل الألف الثاني. م. على أكثر من أن اشخاصاً بهذا الاسم كانوا يصلون إلى بابل من حين إلى آخر»، عندئذ أترك الموضوع للقارىء أن يحسم بمدى صحة المثال التافه عن «موللر» و «سولزه» نظراً إلى وجود كل هذه الأسماء مثل «ياربي ـ إيلو» (iarabi - ilu) و «ياملك ـ إيلو» (iamlik - ilu) وكل من الأسماء التي ورد ذكرها (فضلاً عن «حمورابي» (Hammurabi) و «عميصادوقا» (Ammizaduga) وغيرهما). وكما رأينا حتى «ينزن» نفسه مضطر إلى القبول بأن لفظة الجلالة «يهفي» (يهفو) (iahve, iahvu) مؤكدة منذ ما قبل الألف الثاني

قبل الميلاد. وكذلك «تسيمرن» (KAT 3 ص ٤٦٨، ملاحظة ٦) الذي يقول: «حتى لو افترضنا أن «يا ـ و ـ وم» (ia - u - um) ينطوي على اسم إله، ويحتمل أن يكون ذلك الاسم «ياهو»، «يهفي»........» ـ إن في ذلك ما يكفينا في الوقت الحاضر، ولا بد من الموافقة على قراءتي «يا ـ (أ، ـ) في» (ia - ;a, -) ve) وصحة ترجمتي لها في المستقبل.

وإذا كان نتيجة ذلك معنى اللفظة «يا ـ و ـ وم» (ia - ú - um) יְהוֹנָתָן، فلا غرو أن نعتبر الأسماء العائدة إلى ذلك العصر مثل «إيلو ـ إيدنم» (ilu - idinnam) = عطاء الله و «شا ـ إيلي» (Ša - ili) = ملك الله و «إيلو ـ أمتحر» (ilu - amtahar) = دعوت إلى الله، و «إيلو ـ تورم» (ilu - tûram) = الله عد إليّ، وغيرها متطابقة من ناحية المعنى مع الأسماء العبرية مثل [illegible]. [illegible]. כְּאֵל. אֶלְנָתָן

تعليق على الصفحة ٣٤، السطر ١٤ وما يليه: ـ «وعلى الرغم من تعليم كبار العلماء الصريح أن «نرجال ونبو وإله القمر وإله الشمس وإله الرعد رمام وكل الآلهة الأخرى موحدة في الإله مردوخ وهو إله النور...» رأى «ينزن» (المصدر السابق الذكر، العمود ٤٩٣) أن يعلق على قولي هذا بالملاحظات التالية التي لا أشك في أن «كونيغ» (ص ٤٣ وما يليها) وغيره نقلوها بكثير من الرضى: «إنه كان لأكبر اكتشاف تم على صعيد التاريخ الديني حتى اليوم، ولذلك من المؤسف حقاً أن «ديليتش» لا يدلنا على مصدره. وأؤكد أن النصوص التي تحت تصرفي لا تحتوي على شيء من هذا القبيل. لذلك نرجو السيد «د.» أن ينشر في أقرب وقت ممكن هذا النص بحرفيته، هذا

النص الذي يسلب إسرائيل أكبر إنجازاتها التي كانت تزهو بضوئه حتى اليوم، وهو أنه الشعب الوحيد الذي جاهد في سبيل مذهب التوحيد الخالص». حسن، إذا أخلص «ينزن» لقوله فإن إسرائيل قد سلمت فعلاً أكبر انجازاتها وذلك بواسطة الرقيم المسماري (81, II - 3, III) المعروف منذ ١٨٩٥ والذي نشره «تيو. ج. بينشس» (Theo. G. Pinches) في مجلة «أعمال معهد فيكتوريا» (Journnl of the Transa- ctions of the Victoria Institute). لم نحتفظ من هذا الرقيم إلاّ ببعض الكسر ولكننا نفهم منها أن جميع الآلهة (أو على الأقل أهمها) المعبودة في بابل كانت تعتبر موحدة في الإله مردوخ وممثلة به. أنقل فيما يلي بضعة أسطر من النص:

إيل نينيب	مردوخ شاعلي (il Nin - ib)	(Marduk ša alli)
إيل نرجال	مردوخ شاكبلو (il Nêrgal)	(Marduk ša kablu
إيل صا ـ ما ـ ما	مردوخ تحاصي (il Za - má - má)	Marduk ša tahazi
إيل بعل	مردوخ بعلوتو (il Bê,l) ميتلوكتو	Marduk ša bê, lûtu u mitluktu
إيل نبو	مردوخ نيكاسي (il Nabû)	Marduk ša nikasi
إيل سن	مردوخ مونمير (il Sin) موشي	Marduk munammir mûši
إيل شمش	مردوخ كيناتي (il Šamaš)	Marduk ša kênâti)
إيل حدد	مردوخ صونو (il Addu)	Marduk ša zunnu

بمعنى أن الإلـه مردوخ يكتب ويسمى نينيب صاحب القـوة،

ونرجال أو صاماما سيد المعركة والقتال، وبعل صاحب الحكم، ونبو رب العمل (؟)، وسن مضيء الليل، وشمش إله العدالة، وحدد إله المطر. ويستنتج من ذلك أن مردوخاً هو نينيب ونرجال وإله القمر وإله الشمس، وكل هذه الأسماء ليست سوى أسماء مختلفة لإله واحد هو مردوخ. أفليس هذا «مـذهب توحيد هنـدوجـرماني وفق التعليم بأن الوحدة لا تكون إلّا نتيجة التنوع»؟ (راجع النصوص المماثلة IIR 58 No. 5, IIR 54, No. 1 IIIR 67, no. 1 وغيرها).

إضافة، ٢ كانون الثاني ١٩٠٣: إن المقال الذي أرسله إليّ «ينـزن» نفسـه هذا اليوم بعنوان: «فريدرخ ديليتش ومذهب التوحيد البابلي»، منشور في مجلة «العالم المسيحي»، ١٩٠٣، العدد ١، كانـون الأول، خطأ من أولـه إلى آخره. أجل، لو كان النص على الشكل التالي:

مردوخ إيل نينيب شاعلي - مردوخ، إيل نرجـال شاكبلو. . . الخ il Nêrgal ša kablu, il Nin - ib ša alli - Marduk ولكن النص ليس على هذا الشكـل! يبـدو لي مقال «ينزن» كله انسحاباً فيما يشبه الفرار- ليحسم المستقبل فيما بيننا!

سلسلة ثقافة الشرق القديم
تصدر باشراف وتحرير
فراس السواح

يصدر قريباً:

* شريعة حمورابي واصل التشريع في الشرق القديم
عدد من المؤلفين ـ ترجمة اسامة سراس
* فنون سومر وأكاد
انطون مورتكات ـ ترجمة محمد وحيد خياطة
* الحضارة الفينيقية
موسكاتي ـ ترجمة نهاد خياطة

صدر منها:

* طقوس الجنس المقدس عند السومريين
س. ن. كريمر ـ ترجمة نهاد خياطة
* الديانة الفرعونية
واليس بدج ـ ترجمة نهاد خياطة
* ديانة بابل وآشور
س. هـ. هوك ـ ترجمة نهاد خياطة
* امبراطورات سوريات
جان بابليون ـ ترجمة يوسف شلب الشام
* بابل والكتاب المقدس
ف. ديليتش ـ ترجمة ايرينا داود

كلمة الناشر

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه أحد بدايات نقد التوراة القائم على المعلومات الجديدة التي أمدتنا بها الكشوف الأثرية في منطقة الشرق القديم. ورغم أن الكتاب قد نشر في ألمانيا لأول مرة مع مطلع هذا القرن، إلا أن جِدته مازالت باقية الى يومنا هذا لأنه غدا من الأبحاث الكلاسيكية المؤسِسة التي أثرت على الاتجاهات العامة في الدراسات التوراتية. وقد حرصنا في نهاية الكتاب على نشر الردود والتعليقات الغزيرة التي أثارتها آراء المؤلف وردوده عليها، لأنها تعطي صورة عن الصدمة التي تلقتها الأوساط التوراتية في الغرب، والتي كانت تبشر بأن التوراة هو الحقيقة الالهية المطلقة في عالم البشر.

أما عن مؤلف الكتاب «فريدريخ ديليتش» فهو عالم آثار مرموق كان له الفضل الكبير في الكشف الأثري عن كثير من مواقع حضارة بلاد الرافدين القديمة، وكان له تأثير واسع على أجيال من الباحثين الآثاريين واللغويين في أوربا.

وقد وفقت المترجمة السيدة ايرينا داود إلى حد كبير في نقل أفكار المؤلف إلى العربية، وخصوصاً في ذلك الجزء المتعلق بالمقارنات اللغوية المعقدة بين المسمارية والعبرية. السيدة ايرينا داود المانية اللغة والثقافة والجنسية، ولكنها درست الأدب العربي في سورية، بلد اقامتها الحالي، وحصلت على ليسانس اللغة العربية وأدبها من جامعة دمشق. وهي هاوية جادة لتاريخ المنطقة وآدابها القديمة. تقيم مع زوجها السيد ماجد داود وأولادها في حمص.

العربي للطباعة والنشر والتوزيع

السعر ل.س.